

## كلمة صغيرة ديمقراطياتهم الزائفة

تدعي كثير من الدول العربية والإسلامية التوجه الديمقراطي وتخاذل شعوبها والعالم بأسره لأنها تتناقض مع ما تعيشه تلك البلدان من واقع مؤلم من كبت للرأي ومن مصادره لأي توجه معارض ولا سيما إن كان إسلامياً . فإنه سيوضع حينئذ مع قائمة المواد الممنوعة فهم ما بين مسجون أو مطارد أو مشنوق، لا شيء إلا لمطالبتهم بتحكيم شريعة الله.

ومن العجيب أن تلك الدول يتسم رؤساؤها زعامة الحزب الحاكم ، فعند أي انتخاب النتيجة المعروفة سلفاً ٩٩% وربما خجلوا من المعارضة المسموعة في العالم فأعطوا المعارضة نسبة محدودة، والويل كل والويل لمن يعارض ، فأول جزء سحب حسانته وربما ضرب بالنعال وأخرج غير مأسوف عليه ..

هذه ديمقراطيات القوم ولذلك لا يستغرب أن تكون تلك الحكومات محل رضا العالم الغربي لا شيء إلا لأنها وقفت بكل صفافية في وجه التيار الإسلامي الذي يشكل بعملاً لهم ولأسيادهم .  
ولله الأمر من قبل ومن بعد ....

## الافتتاحية أيها المسلمون: إلى متى هذا الهوان..؟

واقعة مثيرة حدثت في الأسابيع الماضية لكنها تُجُوهَتْ ، لا أظنها نقل خطراً وجلاً عن واقعة مذبحة الخليل الشهيرة ، وما أعقبها من تخاذل غير مستغرب على هيئة الأمم ومؤسساتها ، في إصدار قرار عادل يدين الجريمة ويحدد سبل حماية المواطنين الفلسطينيين العزل من «جنون» المستوطنين اليهود المسلمين وأعوانهم في جهاز الشرطة وجيش الاحتلال الصهيوني . والشعور العام ، في أوساط الإعلام العربي خاصة ، بحجم الخطير الذي تمثله الواقعة الجديدة ، أوقع الإعلام العربي في زلل فاحش ، حين تعمد إخفاء معالم تلك الواقعة ، وحاول التعتمد على صلب موضوعها ، بإثارة الكثير من الغبار حول شكليات وملحقات لا تمت للموضوع الأصلي «الخطير» بصلة.

والشعور العام ، في أوساط المؤسسات» القومية «العربية ، والإسلامية بحجم» الجريمة« التي اقترفتها الأمم المتحدة بحق الإسلام وشريعته ، كان أيضاً سبباً في التجاهل» المريض «من هذه المؤسسات وأجهزتها ، لمعطيات الواقعة رغم أنه طلب رسمياً من الجامعة العربية تحديداً إصدار بيان واضح يدين هذا العدوان ، ويطالع باعتذار علني للمسلمين ، ولكن الجامعة جعلت كما يقولون أذناً من طين وأذناً من عجين ، ولا من رأى ولا من سمع.

القصة بتمامها ، أن الأمم المتحدة عينت في العام الماضي ، المدعو» (كسبار بيرو) «مقرراً خاصاً لحقوق الإنسان في السودان، وقد نشرت («بيرو») في إعداد تقرير كامل عن أوضاع» حقوق الإنسان «في السودان، جاء مليئاً بالاتهامات للحكومة السودانية في مختلف المجالات ، وليس هذا بالتهم ، فهذا شأنهم وشأن السودان ، ولكن ما هو ليس شأناً سودانياً بل هو شأن إسلامي عام يخص كل مسلم على وجه الخصوص ، أن مقرر الأمم المتحدة لحقوق الإنسان كتب في تقريره مهاجماً الشريعة الإسلامية ، واعتبرها أحكاماً في الحدود والقصاص إهاراً لحقوق الإنسان الأساسية ، ثم لم يقف التقرير عند هذه الإهانة الدين الإسلام ، بل ذهب إلى الهجوم على ممارسة» الدعوة إلى الإسلام «في المناطق الوثنية وغيرها ، واعتبر ذلك «انتهاكاً» لحقوق الإنسان ، إضافة إلى هجومه على استعمال اللغة العربية لغة أولى للتعليم في السودان ، معتبراً ذلك خرقاً لحقوق الإنسان.

\*\*\*

في أعقاب هذه «الفضيحة» ناشد السودان الأمم المتحدة سحب الفارات الخاصة بالطعن في الإسلام وشرعيته ، وطلب اعتذاراً «للمسلمين» عن هذا الجرم في حق دينهم ، بيد أن الأمم المتحدة رفضت بإصرار تحقيق هذا الطلب «البهي» «بل إن الولايات المتحدة تقدمت بمشروع قرار يوصي بقبول تقرير («كسبار بيرو») بل وإمعاناً في الاستهتار ، يوصي بمد خدمته في السودان عاماً آخرأً ، أيضاً المفهوم السامي لحقوق الإنسان في الأمم المتحدة ، دافع عن تقرير» بيرو « واعتبر أن «الحريات الأساسية» أهم من «الخصوصيات الإقليمية» ، ولعله استحى أن يقول «الدينية» ، وعلى كل حال فكل ما لا يقل إجراماً عن تقرير» بيرو «، حيث يكون» مفهوم الإنسان الأوروبي « عن الحريات ، أقدس وأجل من دين الإسلام وشرعيته بل ويلزم الإسلام بالخضوع للمقررات الأوروبية في ذلك.

\*\*\*

وكما قدمنا ، الإعلام العربي تجاهل الواقع على خطأها ومن تعاطى معها حاول إخفاء صلب الواقع ، وجواهر الجريمة ، وصور الخبر على أنه نزاع بين السودان والأمم المتحدة في شأن إهار حقوق الإنسان في السودان كذلك «المؤسسات القومية» ، تجاهلت هذا العدوان على الإسلام ، وكأن الإسلام وشرعيته أصبحتا شأنًا وطنياً خاصاً بقطر من الأقطار ، وليس دين الأمة بكاملها ، وما يمسه ويجرحه فهو يمس كل مسلم ، ويطعن في أعمق مشاعره «وحقوقه» «الأولية».

ولنا أن تخيل هذا الطعن الوارد في تقرير صادر عن الأمم المتحدة موجه إلى المسيحية أو اليهودية ، فماذا سيكون رد الفعل على مثل ذلك الطعن؟ بل إننا نقطع بأن مثل هذا السؤال مجرد فرض وهمي ، إذ أن أحداً في المنظمة الدولية لا يجرؤ ولا يجول بخاطره أن يتعرض ، ولو من بعيد ، إلى اليهودية أو المسيحية ، ولا حتى عباد البقر ، فهل صحيح أن الإسلام هو الدين المستباح عند المنظمة الدولية ، في عقيدته التي تطعن» بدم بارد» في أصولها ، ويکابرلن في مجرد تقديم اعتذار ، وحتى إنسانه الذي يذبح في مسجده ومصلاه بالجملة ومع ذلك تعاند المنظمة أو بعض كبرائها في إدانة المجرمين وحماتهم ، وتتهرب من الالتزام «بحق الإنسان الفلسطيني المسلم» في أن «يعيش» ، وتحرمه من «الحماية» ضد مسلحين يحملون براكيين مكبوة ، من الحقد والمرارة والعنصرية ضد كل ما هو عربي أو مسلم!

هل أصبح الإسلام هو الدين المستباح في عالم اليوم؟ وهل أصبح طموح المسلمين في كل مكان أي يطالبوا بإقامة» مناطق آمنة» لعقيدتهم التي تنتهك بصورة شبه اعتبرادية وعلى مختلف الأصعدة من المنظمات الدولية إلى كتاب وفنانين يحظون بباركة وحماية أكبر زعامت العالم السياسية وحتى بيوت الأزياء والموضة؟!

ما الذي يراد بالضبط من المسلمين هذه الأيام؟ وما معنى هذا المسلسل المتواتي من الاستفزاز والاستثارة المدعم بتيار إعلامي لا ينقطع مده من دعاوى «الإرهاب الإسلامي»! والتطرف الإسلامي! والخطر الإسلامي! وأي شراك خبيثة تلك التي تنصب للMuslims اليوم في غير مكان وناحية؟!

\*\*\*

خبر.. أصدر البرلمان التركي قراراً برفع الحصانة البرلمانية عن النائب» حسن ميزارتش «من «حزب الرفاه» الإسلامي، ثم ألقت قوات الأمن القبض عليه بعد صدور قرار باعتقاله، والتهمة «إهانة ذكرى مصطفى كمال أتاتورك»!  
انتهى الخبر ، وانتهت معه وبه افتتاحية العدد.

## في إشراقة آية ادخلوا في السلم كافة \*

د. عبد الكريم بكار

إن المراد بـ«السلم» هنا: (الإسلام) على ما رجحه عدد من المفسرين وإن (كافه) حال من (السلم) على ما نرجحه ، ويكون المراد آنذاك: الأمر بالأذن بتکاليف الإسلام جميعها: ما تميل إليه النفس منها ، وما يخالف هواها.

وتصرخ الآية الكريمة بأن في عدم الأخذ بالإسلام كاملاً نوعاً من اتباع الشيطان ، حيث إن المنهج الرباني يبيان السبل الأخرى في فلسفتها العامة ، وإن التفريط بشيء من ذلك المنهج سيكون فيه اتباع (آلي) لسبيل الشيطان حيث لا يوجد خيار ثالث.

**ويمكن أن نستبشر في إشراقة هذه الآية المباركة المفردات التالية:**

١- إن المنهج الرباني يتسم بسمتين أساسيتين هما: التكامل والتفرد فهو نظراً لتكامله لا يفسح المجال لعناصر أخرى منافية لجوهره ، وأما تفرده عن المناهج الأخرى فإنه يمنحه نوعاً من الحساسية الخاصة التي تجعل أي انحراف عنه أو به عن مقاصده وغاياته بالغ الضرر على أدائه وإصلاحه للشأن الإنساني كله ، فالصفاء الكلي ليس مطلباً من مطالب الإيمان النظري ، ولكنه مطلب من مطالب توظيف المنهج ورسم دوائر حيويته وفاعليته ، وذلك نظراً للعلاقة الجدلية بين النظرية والتطبيق ، فسلامة الإيمان على مستوى الاعتقاد تتأثر إلى حد بعيد بالأذن الجزئي للإسلام على مستوى التطبيق!.

وقد حذر القرآن الكريم النبي صلى الله عليه وسلم من مطاوعة المشركين في الإعراض عن بعض المنهج الرباني حين قال:(وَأَنْ أَحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحذِرُهُمْ أَنْ يُفْتَنُوكُمْ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ)(١).

٢- إن خصال الخير في هذا الدين كثيرة، وعلى مقدار ما يأخذ المسلم منها يكون كمال إيمانه وإسلامه ، لكن بما أن العمر محدود والطاقات محدودة فإن على المسلم إذا أخذ بعمد الإسلام ، واهتدى بهديه العام ، وقبس من كمالاته ، أن يبحث عن المجال الحيوي المناسب لاستعداداته وظروفه وطاقاته كي يتخد منه محراً لتعبده وتقربه إلى الله تعالى ، حتى نحفظ للمجتمع الإسلامي توازنه ونسد ثغراته .

ومن هنا فإن عبادة طالب العلم محاولة النبوغ ، وإنقان التخصص حتى نحقق للأمة الاكتفاء الذاتي ولو في حده الأدنى على الصعيد العلمي والفنى وعبادة علماء الشرع القيام بالتبليغ وإحياء السنن والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وتجديد وظائف الدين والتبصر في واقع الأمة ، وإن عبادة الحكام إقامة العدل ، ورعاية شؤون الأمة ، وحماية البيضة ، والتغافل عن الأموال العامة ونشر الدعوة ، وعباده الجندي دوام التمرس بفنون القتال ، واستيعاب الأسلحة الجديدة واستشراف الشهادة ، والاستعداد الدائم للبذل والفداء ، وإن عبادة الأغنياء وذوي الجاه سد حاجة الفقراء ومساعدة الضعفاء على حل مشكلاتهم والوصول إلى حقوقهم ، والبذل في تشبيب المرافق العامة ، وهكذا ...

وإن خروج كل واحد من هؤلاء عن مجده الحيوي سيحرمه ، ويحرم الأمة من خير عظيم، بل قد يؤدي إلى أضرار بالغة وخيمة العواقب ، فإذا صار هم العالم امتلاك المال بنية إعمار المساجد مثلاً تقلصت جهوده في ميدانه الحقيقي الذي ينبغي عليه المجاهدة فيه ، وإذا انشغل الحاكم بأعمال خيرية أو أداء النوافل عن واجباته الأخرى ، لم يكن ذلك موضع مدح ولا نفع ذي شأن للأمة المسلمة ، وهكذا ...

وهذا كلّه يحتاج إلى نوع من البصيرة النافذة بغية وضع الأمور في نصابها.

٣- إن أنظمة الإسلام يكمل بعضها بعضاً ، كما يفعل بعضها بعضاً ومن ثم فإن أي خلل أو ضعف في نظام من تلك الأنظمة يؤثر بالسلب على أداء باقيها ، وهذا يعود إلى ما ذكرناه آنفاً من ميزة (التكامل) التي يمتاز بها المنهج الرباني ، ونظرًا لأهمية هذه المسألة وضعف الإدراك لها سنفيض القول فيها عسى أن نشعر أننا نقف على أرض صلبة.

وفي البداية فإن مبادئ الإسلام ومنظوماته المختلفة تتضمن تحت رؤية واحدة مما يجعل التخلي عن أي منها هدماً لجزء من الرؤية الكونية الإسلامية ويستوي حينئذ على الصعيد العملي على الأقل الجهل بذلك الجزء مع تجاهله أو جده ، والنتيجة واحدة، وهي غبș في الرؤية على المستوى النظري ، واحتلال في التوازنات العميقية على مستوى الشعور ، واضطراـب أنظمة الحياة الإسلامية على مستوى الفعل والواقع المعاـش ، وسنضرب العديد من الأمثلة لجلاء هذه الحقيقة.

أ- الزكـاة جـزء من النـظام الـاقتصادـي الـإسلامـي ، وـعدـم الـقيـام بـهـذه الشـعـيرـة يـؤـدي إـلـى عدم كـفـاءـة النـظام الـاقتصادـي ، كما يـؤـدي إـلـى إـلـحـاق الضـرـر بـالـنـظـام الـاجـتمـاعـي وـالـاخـلـاقـي أـيـضاـ، فالـمـقـدـار المـفـرـوض مـنـ الزـكـاة فـي الـأـمـوـال وـعـرـوـض الـتـجـارـة هـوـ ٢٥٪ ، وـهـذـا الـقـدـر كـافـ لـسـدـ العـدـيد مـنـ حاجـاتـ الـمـجـتمـعـ الـإـسـلامـي عـلـىـ مـقـتضـىـ الـحـكـمـةـ الـإـلـهـيـةـ الـبـالـغـةـ ، لـكـنـ ذـلـكـ سـيـكـونـ فـيـ الـأـحـوالـ العـادـيـةـ وـالـطـبـيـعـيـةـ وـفـيـ غـيرـ الـأـحـوالـ الطـارـئـةـ كـمـاـ فـيـ حـالـاتـ الـزـلـازـلـ وـالـفـيـضـانـاتـ ، وـذـلـكـ أـيـضاـ فـيـماـ إـذـاـ التـزـمـ أـغـنيـاءـ الـمـسـلـمـينـ بـإـخـرـاجـهـاـ ، وـإـذـاـ استـمـرـ ذـلـكـ الـالتـزـامـ حـقـبـةـ مـنـاسـبـةـ مـنـ الزـمـنـ ، فـلـوـ قـدـرـنـاـ أـنـ ١٠٪ـ مـنـ الـأـغـنيـاءـ أـخـرـجـوـاـ الـزـكـاةـ وـأـنـ التـزـامـهـمـ بـأـدـائـهـاـ فـيـ مجـتمـعـ مـاـ لـمـ يـمضـ عـلـيـهـ سـوـىـ سـنـتـيـنـ ، فـإـنـ الـزـكـاةـ آنـذـاكـ لـاـ تـقـومـ بـمـهـامـهـاـ عـلـىـ الـوـجـهـ الـمـطـلـوبـ ، حـيـثـ إـنـ الـحـالـتـيـنـ ذـكـرـنـاهـماـ تـجـعـلـانـ الـفـقـرـ يـتـرـاكـمـ وـيـقـاـمـ إـلـىـ الـحدـ الـذـيـ لـاـ تـقـيـ أـمـوـالـ الـزـكـاةـ بـالـتـخلـصـ مـنـهـ.

ثـمـ إـنـ نـظـامـ الـزـكـاةـ يـؤـديـ مـهـامـهـ فـيـ ظـلـ فـعـالـيـةـ الـأـنـظـمـةـ الـأـخـرىـ ، فـإـذـاـ كـانـتـ موـارـدـ القـطـرـ شـحـيـةـ جـداـ ، أوـ كـانـ النـظـامـ السـيـاسـيـ فـيـهـ مـخـتـلـاـ ، وـأـدـىـ ذـلـكـ إـلـىـ اـنـتـشـارـ الـبـطـالـةـ وـالـعـطـالـةـ عـنـ الـعـمـلـ ، فـانـ نـظـامـ الـزـكـاةـ بـالـتـالـيـ لـاـ يـوـصـلـنـاـ إـلـىـ الـأـهـدـافـ الـمـنـشـودـةـ مـنـهـ.

وباعتبار الزـكـاةـ جـزـءـاـ مـنـ النـظـامـ الـاـقـتـصـاديـ الـإـسـلامـيـ ، فـإـنـهـاـ أـيـضاـ لـاـ تـؤـديـ وـظـائـفـهـاـ إـلـاـ بـفـاعـلـيـةـ النـظـامـ الـذـيـ تـنـتـمـيـ إـلـيـهـ، فـمـثـلاـ (الـقـرـضـ الـحـسـنـ)ـ جـزـءـاـ مـنـ ذـلـكـ النـظـامـ، وـإـعـرـاضـ الـدـوـلـةـ أوـ الـشـعـبـ

عنه يؤدي إلى نوع من تعطيل حركة المال وتداروه ، وبالتالي إلى ضعف حركة التنمية والاستثمار مما يفضي أيضاً إلى قلة فرص العمل وكثرة الفقراء والمعوزين.

ومرة أخرى فإن فاعلية نظام الزكاة ترتبط جزئياً بقيام الدولة بواجباتها من ضمان الحد الأدنى من المعيشة للفقير بالقدر الذي يحفظ كرامته ، ويجعله في وضع منتج مثر ، فإذا عجزت الدولة عن ذلك أو قصرت فيه ، فإن آلية (نظام السوق) ستوجد شريحة واسعة من المحاجين الذين لا يمكن أن تقوم بهم أموال الزكوات والنذور والكافارات... وينفع كل ذلك ويتأثر بقوة النظام القيمي وفاعليته ، فإذا كان نشطاً اندفع الناس إلى التطوع بكثير من الأعمال الخدمية واندفع كثير من الفقراء إلى العمل والحركة مع حسن التدبير والتعرف عن أموال الآخرين مما يخفف من غلواء الحاجة.

بـ- الضبط الاجتماعي في الإسلام يقوم على ركين أساسين: الأسرة والمجتمع العام بما فيه من وسائل تنقيف وتعليم ورقابة... وإن الخل في أي من هذين الركين سبب إلى شيوع الخل في أداء الركن الآخر. واضح أن مهمة الأسرة أن تصقل الفرد من داخله بما تعرسه من قيم وآداب وبما تخطه في ذهناته ومشاعره من خطوط عميقه ، كما أن مهمة المجتمع الأرحب القيام بالرقابة على تشجيع القيم الإيجابية وحماية أفراده من السقوط فيما يعتبر أعمالاً مشينة أو مخلة.

والحالة النموذجية في هذا تتجلى في عموم الإيمان بالقيم والنظم ، وتوحد التربية الفردية مع معايير الضبط الاجتماعي على مقتضى ذلك الإيمان ، فإذا ما افترضنا الاختلاف بين القيم الأسرية والقيم التي يبثها الإعلام أو تلقنها المدرسة أو يشيّعها الشارع ، فإن النتيجة هي تمزق شخصية الطفل بين مختلف هذه المؤثرات ، وحينئذ فإن التربية الأسرية تتعرض للخطر من قبل المجتمع الأوسع أو يأتي الخطير مما تواضع عليه من قبلها. هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن الطفل يُخفي في البيت ما تلقفه من المدرسة أو الشارع ، ويُخفي فيما ما لفته في البيت، والنتيجة هي الازدواجية والحيرة وانطفاء الفاعلية، أي إجهاض عمل الجهات التربوية المختلفة ، وترك الناشئ لموجات الظروف.

جـ- الحدود في الإسلام وسائل للردع ، وهي بمثابة العمل الجراحي الذي يأتي ترتيبه في التطبب متلّحاً ، وتؤدي الحدود مهماتها في مجتمع تعلم فيه باقي الأنظمة بكفاءة من نحو الاستقرار والعدل وتتوفر فرص العمل المناسبة وانعدام المغريات بالفالحة وانسجام التربية البيتية مع معايير الضبط الاجتماعي وانتشار العلم... وإذا ما فرضنا وقوع خلل فيما سبق أو بعضه، فإن كفاءة الحدود في توفير الأمن للمجتمع سوف تتراجع على مقدار القصور الحاصل في الأنظمة الأخرى ، وهذا كله يجعل مسؤولية أمن المجتمع واستقراره مسؤولية عامة يتحملها كل فرد في المجتمع ، كما تتحملها الدولة على مقدار المكانة والشخص.

٤ - إذا كانت أنظمة الإسلام متفردة في رويتها الكونية وفي منطلقاتها وأهدافها ، فإن مما يضر بتماسكها الداخلي إدخال العناصر البعيدة عن طبيعتها عليها ، وهذا ما يمكن أن نسميه بـ(التلقيق) ، وإن الثقافة الإسلامية تقبل من الجديد ما ينশط وظائفها ، أو يوظف مبادئها ، أو يملأ فراغات وهوامش أوجتها خاصية المرونة فيها ، فإذا تجاوز الأمر ذلك إلى الجوهر والأنظمة الأساسية، فإن النتيجة هي ضرب التوازنات العصيبة لتلك الثقافة مما يجعلها تتكمش كما هو الكائن الحي حين يهاجم وتقرز نوعاً من العطالة الضرورية كيما تحافظ على وجودها وانسجامها.

وإن ثقافتنا الإسلامية تمر بمرحلة عصيبة لا سابق لها في تاريخها المديد حيث يمتلك زمام تنقيف الأمة أناس كثيرون يجهلون ثقافة الأمة، بل إنهم رضعوا لبان الثقافة المعادية، ولسنا هنا بصدد بيان ذلك ولا أسبابه، لكن ما نشاهده اليوم من عمليات التلقيق والتهجين الثقافي كان حصاد مراحل الركود الفكري والحضاري بصورة عامة، وإذا كان التجديد سنة من سنن الكائن الحي فإنه إذا لم يتول التجديد أهله تولاهم غيرهم، فالإنسان بطبيعة لا يصبر على طعام واحد، وهو يستهلك

الشعارات والأفكار والنظم الصغرى ، فإذا لم نقم بإثراء ثقافتنا بالدراسات والخبرات وتجديدها وتحرييرها من عوادي الانحراف والجمود والتقليد فعل ذلك من لا يحسن، وصار الانسجام والتجدد عبارة عن سمات ظاهرة جوفاء ، أما الجوهر فيشوبه التناقض والتآكل الداخلي .  
ولله الأمر من قبل ومن بعد .

### الهوامش :

\* من قوله تعالى: ((يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين)) (سورة البقرة: ٢٠٨)  
(١) سورة (المائدة: ٤٩)

## مقال

### دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وتثبيت الأمان بمفهومه الشامل

فهد بن ناصر الجديد  
تمهيد:

الدعوة السلفية بنجد التي يرميها شائقوها زوراً الوهابية بقصد التنفير منها وادعاء أنها دعوة مبتدعة ، هي دعوة إصلاحية ، ودعوة لتصحيح العقيدة الإسلامية التي انحرفت عن النهج الحق بفعل الاتجاهات الصوفية والبدعية بوجه عام ، وبخاصة في القرون الأخيرة ، ومما يؤسف له أنه مازالت بعض الاتجاهات البدعية تناصب هذه الدعوة العداء بدون وجه حق ، لكن الحق أبلج وأكبر من أن تقف في وجهه المعوقات ، فقد بينت حقيقة هذه الدعوة وكتب عنها ، وقرظها الكثير من العلماء على مستوى العالم الإسلامي منهم (مسعود الندوي من الهند والشيخ بهجت الأثري من العراق ، والشيخ رشيد رضا من مصر ، والشيخ علي الطنطاوي من الشام وغيرهم) ، وهذه المقالة تتحدث عن جزئية خاصة من الآثار الإيجابية لهذه الدعوة .

### -بيان-

يعتبر الأمان من العناصر الأساسية التي تستقر عليها الدول ، وتقوم عليها الحضارات ، ولا يمكن أن يتحقق الأمان بمفهومه الشامل إلا عندما تتحقق عبودية الإنسان لربه ، يقول الله تعالى: ((ولولا دفع الله الناس بعضهم لبعض صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً))(١).  
والجزيرة العربية وهي مهبط الوحي ومبعد الرسالة الخالدة ، لا يمكن أن تقوم بها حضارة إلا في إطار من الشريعة الإسلامية ، ولا يمكن لأهلها أن ينعموا بالأمان والاستقرار إلا تحت راية التوحيد .  
ومع إشراقة العصر الحديث ظهر الشيخ محمد بن عبد الوهاب في قلب الجزيرة العربية ، واستطاع بفضل الله أن يوحدها تحت قيادة إسلامية واحدة؛ لذا جاء الاهتمام بدراسة هذه الدعوة المباركة وأثرها في جانب من أهم جوانب الحياة الأساسية إلا وهو الأمان ، وقبل البدء في هذا الموضوع لابد من ذكر لمحه موجزة عن الحالة الأمنية قبل تلك الدعوة ، ومدى ما وصلت إليه الحال من التدهور والاضطراب آنذاك .

### الحالة الأمنية قبل الدعوة:

اضطربت الحالة الأمنية في الجزيرة العربية بسبب انهيار وانحراف الحالة العقدية «فكان البلد تعيش في ظلام دامس بين عدو يأخذها بالقهر وبين صديق يأخذها بالغزو» (٢)، ولمعرفة ما وصل إليه الحال يمكن ذكر المثالين التاليين:

**المثال الأول:** ذكر المؤرخ ابن بشر عن أحداث سنة ١١٢٠هـ قوله «وفيها قتل حسين بن مفيض صاحب (التويم) البلد المعروف في ناحية سدير ، قتله ابن عمه فايز بن محمد وتولى بعده في (التويم) ، ثم إن أهل حرمته ساروا إلى التويم ، وقتلوا فايزاً المذكور وأمرروا في البلد فوزان بن مفيض (٣) ، ثم غدر ناصر بن حمد بفوزان فقتله ، فتولى في (التويم) محمد بن فوزان ، فتماماً عليه رجال وقتلوا منهم المفزع وغيره من رؤساء البلد وهم أربعة رجال ، فلم تستقم ولاية لأحد them فقسموا البلد أربعاً كل واحد شاخ في رباعها «أي صار شيئاً (٤).

**المثال الثاني:** ما جرى لبلدة العيينة عندما أصابها المرض الخطير في عام ١١٣٩هـ وأفنى الكثير من أهلها ، ومات أميرها عبد الله بن معمر ، وتولى بعده حفيده محمد بن أحمد ، فاجتمع كل من أمير الدرعية زيد بن مرخان وفايز السبيعي ومعهم أربعون رجلاً، ولি�تهم قرروا تقديم المساعدة لتلك البلدة المنكوبة ، لكنهم قرروا الهجوم عليها ونهب خيراتها ، فلما علم أميرها الجديد أرسل إلى زيد بن مرخان قائلاً: «ما ينفعك نهب البوادي وغيرهم لنا ، وأنا أعطيك وأرضيك وأقبل إلى أكلمك من قريب وأناجيك» (٥). فلما قدم زيد ورجاله وجلسوا إذا برصاصة تستقر في جسمه بتذير من ابن معمر ، فمات من فوره ، وتفرق رجاله داخل البيت.

### دعائم توطيد الأمان:

لقد سار الشيخ وبموازرة الأمير محمد بن سعود على النهج الذي سار عليه السلف الصالح في توطيد الأمان بمفهومه الشامل في المجتمع فلم يحصر معالجة الخطأ على الانحراف الشخصي للفرد ، وإنما امتد الإصلاح إلى انحراف المجتمع الذي مهد لانحراف الفرد ؛ لذلك جاءت دعائم الأمان مرتكزة على ثلاثة أساس (٦) لا مناص عنها ، وهي:

\* تربية الفرد.

\* إصلاح الأوضاع القائمة.

\* إقامة الحدود.

### التربية الفرد:

اهتم الشيخ بأن يتكون في الفرد وازع ديني يحول بينه وبين الواقع في الجريمة ، فكان التوحيد الخالص من شوائب الشرك أول أمر دعا إليه حتى تتحقق عبودية الفرد لربه ، فإذا علم الإنسان أن الله هو الخالق الرازق (توحيد الربوبية) فلا يفكر في الحصول على مغنم بوسائل غير مشروعة ، وإذا تيقن الإنسان أن الله هو المعبود بحق (توحيد الألوهية) فلا يمكن بأي حال من الأحوال أن يوجه العبادة من دعاء أو استغاثة أو ذبح أو نذر إلا لله وحده ، وإذا علم الإنسان أن الله العليم الخبير المطلع على سرائر الأمور (توحيد الأسماء والصفات) فلا تراوده نفسه الإقدام على الجريمة ، لذا قام الشيخ بتأليف كتابه المشهور «كتاب التوحيد» (\*).

ولم تكن التربية قاصرة على طبقة دون أخرى ، بل شملت كل طبقات المجتمع حتى كبار السن وال العامة ، حيث قام بتأليف رسالة موجزة في العقيدة تعرف بالأصول الثلاثة جاءت على طريقة الحوار وهي مفيدة جداً.

وأما في مجال التربية بالقدوة فقد حرص الشيخ على التأسي بهدي المصطفى صلى الله عليه وسلم في جميع أفعاله، فقام باختصار كتاب «زاد المعاد في هدي خير العباد» لابن القيم، مع إبراز العبر والعظات، كما قام باختصار السيرة النبوية وربط المعتقدات الباطلة في عصره بالجاهلية الأولى. وقد حرص الشيخ على ضرب الأمثلة بذكر قصص السابقين لما للقصة من أثر بالغ في التربية كما ذكر في كتاب «التوحيد» قصة الرجلين الذين قدم أحدهما قرباناً لصنم قوم عندما مروا عليهم فخلوا سبيله ، وامتنع الآخر فكانت حياته ثمناً لامتناعه فدخل الجنة ، وكذلك قصة الأقرع والأبرص والأعمى.

وقد أكد الشيخ على القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بعد المعرفة والفهم» لأن الإنسان لا يجوز له الإنكار إلا بعد المعرفة ، فأول درجات الإنكار معرفتك أن هذا مخالف لأمر الله»<sup>(٧)</sup> ، ومما قال أيضاً في ذلك: «وأهل العلم يقولون الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر يحتاج إلى ثلاثة أمور: أن يعرف ما يأمر به وينهى عنه ، وأن يكون رفيفاً فيما يأمر به وينهى عنه ، صابراً على ما جاءه من الأذى»<sup>(٨)</sup>.

### **ومن وسائل التربية ما يلي:**

\*بعث الدعاة والعلماء إلى البلدان التي انضمت إلى رحاب الدعوة ، مثل إرسال الشيخ محمد بن صالح إلى بلدة منفورة ، والشيخ عيسى بن قاسم إلى بلدة الرياض ، والشيخ أحمد بن سويلم إلى بلدة ثادق والشيخ حمد العريني إلى بلدة اليمامة ، وجمع من العلماء إلى منطقة الإحساء ، والشيخ عثمان أبو حسين ثم الشيخ قرناس بن عبدالرحمن إلى بوادي حرب.

\*إرسال الرسائل إلى بعض البلدان لتوضيح حقيقة دعوته ، مثل رسالته إلى أهل القصيم ، ورسالته إلى فاضل بن مزيد رئيس بادية الشام ، ورسالتها إلى عبدالرحمن السويدي أحد علماء العراق ، ورسالتها إلى البكري صاحب اليمن ، ورسالتها إلى أهل المغرب.

\*إقامة المناظرات العلمية مع علماء المسجد الحرام في مكة المكرمة عندما تم إرسال كل من الشيخ عبدالعزيز الحصين في عام ١٤٨٤هـ والشيخ حمد بن معمر في عام ١٤٢١هـ.

\*تدريس كتاب «كشف الشبهات»<sup>(\*)</sup> في بيت الله الحرام (بعد دخول السعوديين مكة المكرمة) في عام ١٤٢٨هـ.

### **إصلاح الأوضاع القائمة:**

لقد فطر الله الكائن البشري على صفات عديدة منها أنه لا يمكن أن يعيش مستقلاً بذاته ، بل لابد له من العيش بين أفراد ومجتمعات ، فإذا كانت تلك المجتمعات غير صالحة ، فلا يمكن للفرد مهما بلغ صلاحه أن ينعم بالأمن في ظلها ، لذا حرص الشيخ على إصلاح الأوضاع القائمة حتى يحافظ الفرد على صلاحه ، ومن الأوضاع التي تم إصلاحها ما يلي:

إصلاح الوضع الاجتماعي.

إصلاح الوضع السياسي.

إصلاح الوضع الاقتصادي.

### **إصلاح الوضع الاجتماعي:**

حرص الشيخ على تقوية الترابط الأسري في المجتمع ببيان حقوق كل من الرجل والمرأة حتى يسود الأمن الاجتماعي بينهما ، فقد وجد في بعض المجتمعات النجدية آنذاك من ينظر إلى المرأة نظرة ازدراء وتنقص ، فيوقفون أو قافقاً يتحايلون بها لمنع المرأة حقها الشرعي في الميراث ، ويزعمون أن ذلك قربة إلى الله ، ومن ذلك ما ذكره الشيخ في بعض رسائله قائلاً: «من أعظم المنكرات وأكبر الكبائر تغيير شرع الله ودينه والتحايل على ذلك بالتقارب إلى الله، وذلك مثل الأوقاف

هذه.. إذا أراد الرجل أن يحرم من أعطاه الله من امرأة أو ابن أو نسل بنات أو غير ذلك ، أو يعطي من حرمته الله أو يزيد أحداً أكثر مما فرض الله أو ينقصه من ذلك يريد التقرب إلى الله بذلك مع كونه مبعداً عن الله، فالأدلة على بطلان هذا الوقف ووجوب عودته وقسمته حسب ما قسم الله رسوله أكثر من أن تحصر»<sup>(٩)</sup>.

### إصلاح الوضع السياسي:

كانت المنازعات على السلطة بين أفراد الأسر الحاكمة من الأمور المتفشية في بلدان الجزيرة العربية ، وكان غالباً ما يصل الأمراء إلى الحكم عن طريق القوة والاغتيال ، وقليل من يصل سليماً<sup>(١٠)</sup> كما أسلفنا.

لذا تعين لدى الشيخ أن السياسة الشرعية في بناء البيئة الإسلامية وهدم البيئة الجاهلية تقضي البحث عن أمير<sup>(١١)</sup> يقتنع بصحة الدعوة وي jihad لأجلها. كما اقتضت السياسة الشرعية لدى الشيخ أن يتم تعيين الأمير كما يتم تعيين الإمام للصلاة لكل بلدة تتضم إلى رحاب الدعوة ، ومن ذلك ما ذكره مؤرخا الدعوة ابن غنام وابن بشر :

\*تعيين مبارك بن عدوان أميراً على بلدة حر咪لاء في عام ١١٦٨ هـ.

\*تعيين دخيل بن سويم على بلدة ثادق في عام ١١٧٠ هـ.

\*تعيين سليمان بن عفیسان أميراً في بلدة الدلم في عام ١١٩٠ هـ.

\*تعيين عبد الله بن جلجل في منطقة سدير عام ١١٩١ هـ.

\*تعيين زيد بن عريعر في منطقة الإحساء عام ١٢٠٤ هـ.

\*تعيين هادي بن قرمطة رئيساً على بوادي قحطان.

\*تعيين كلّاً من عبدالوهاب بن عامر وفهاد بن شکبان وطامي بن شعيب أمراء في منطقة الجنوب.

\*تعيين الشريف عبدالمعين أميراً في مكة المكرمة عام ١٢١٨ هـ ، ثم تعيين الشريف غالب في عام ١٢٢٠ هـ.

### إصلاح الوضع الاقتصادي:

تأكد لدى الشيخ أن وقوع الجريمة ليس دائماً بسبب الفرد كما يبدو ظاهراً وإنما هناك سبب حقيقي دفعه إلى اقترافها ، «وال المصادر المتوفرة عن تلك الفترة توحى بأن الظلم كان الصفة العامة لأمراء البلدان»<sup>(١٢)</sup>.

لذا اهتم الشيخ بالإصلاح الاقتصادي حتى يسود الأمن الاقتصادي في الأمة ، وأعظم ما قام به في ذلك المجال المعاهدة أو البيعة التي تمت بينه وبين أمير الدرعية (محمد بن سعود) ، حيث نص البند الثاني على التخلّي عن خراج الثمار الذي كان يؤخذ من أهلها<sup>(١٣)</sup> ، ولقد أثبتت الأحداث الجسمان بعد تلك البيعة اقتناع أمير الدرعية بالدعوة ودفاعه المستميت عن مبادئها

### إقامة الحدود:

إن الهدف الأساسي من إقامة الحدود قائم على أساس حماية الضروريات الخمس التي دعت إليها الشريعة الإسلامية ، وهي: الدين ، والنفس ، والعقل والعرض ، والمال ، وبعد تأمين الحاجز الداخلي لدى الفرد بالتربية الصالحة ، وبعد تأمين الحاجز الخارجي المحيط بالفرد المتمثل في إصلاح الأوضاع القائمة، تأتي المرحلة الثالثة في حماية المجتمع، وذلك بإقامة الحدود ، وعلى هذا الأساس يتبيّن أن العقوبة ليست قائمة على التشفي والانتقام ، وإنما على الردع والزجر ، يقول رسول الله -صلى الله عليه وسلم- (حد يقام في الأرض خير من المطر لأهلها أربعين صباحاً)«رواه ابن ماجة»<sup>(١٤)</sup> ، ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «وهذا لأن المعاصي سبب لنقص الرزق والخوف من

العدو ، كما يدل عليه الكتاب والسنة فإذا أقيمت الحدود وظهرت طاعة الله ونقصت معصية الله حصل الرزق والنصر»<sup>(١٥)</sup>.

ومن الحدود التي تم تنفيذها رجم الزانية في بلدة العيينة في عام ١٤٥٧هـ . ولم تكن الحدود مقتصرة على الأفراد فحسب بل امتدت إلى الجماعات ومن ذلك ما ذكر ابن بشر: \*أرسل الأمير سعود على رأس قوة عسكرية إلى منطقة الإحساء في عام ١٤٢٠هـ لإقامة الحدود على المخلين بالأمن.

\*أرسل الأمير سعود قوة عسكرية في عام ١٤٢٩هـ إلى بوادي الظفير بعد أن تأكد تهاونهم عن الصلوات المفروضة ، إضافة إلى إيوائهم لبعض المبدلین لدين الله.

### ثمار الدعوة من الناحية الأمنية:

لقد جن أهل الجزيرة ثمار تلك الدعوة المباركة في توطيد الأمن بمفهومه الشامل، واطمأن الناس على سلامته عقيدتهم من الأفكار المنحرفة المنتشرة في كثير من أنحاء العالم الإسلامي، وأمنت قوافل الحجيج القادمة من مختلف بقاع العالم الإسلامي، وكان إيراد عمال الزكاة وأخماس الغنائم الذين يقدمون إلى الدرعية، يتذرون تلك الأموال أطناباً لخيامهم إذا جن الليل عليهم لا يخافون إلا الله<sup>(٦)</sup>. وقد اتخد الإمام عبدالعزيز بن محمد رعيه إبل لحفظ الضوال منها فمن وجد إبلأ ضالة في أي بقعة من الجزيرة أتى بها إلى الدرعية وأخذ المكافأة المعدة له<sup>(٧)</sup>، وعلى من ضاعت له إبل أن يقدم إلى تلك الرعية فإذا عرفها أتى بشاهدين أو شاهد ويمينه ثم يأخذها، وربما يأخذ الواحدة اثنتين بسبب التناسل والتکاثر<sup>(٨)</sup>، وذات مرة حاول نفر من الأعراب وهم جياع أن يأخذوا عنزاً ضالة ويذبحوها ويأكلوها، فلم يتقى لها أحد، وعندما أحوالا على أحدهم أجاب قائلاً: «والله لا أنزل إليها ، ودعوها فإن عبدالعزيز يرعاها»<sup>(٩)</sup>.

### الهوامش:

(\*) كتاب (التوحيد) من أهم الكتب في تحقيق العبودية لله والخلوص من الشرك ، وقد نال اهتمام الكثرين من علماء الدعوة ، فشرحوه بين شرح كبير ومتوسط ومختصر، ومن أهمها (فتح المجيد للشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ) و(تيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان بن عبد الله) و(قرة عيون الموحدين للشيخ عبدالرحمن بن حسن) واعتنى به حديثاً كل من الشيخ عبدالرحمن السعدي ، والشيخ مصطفى العالم والشيخ سعيد الجندول وغيرهم.

(\*\*) كشف الشبهات كتاب حواري في التوحيد يناقشه المبتدعة وعباد القبور والأضرحة ويوضح انحرافهم عن الصواب. ولا يملك طالب الحق إلا التسليم للشيخ في حواره الموضوعي وهو كسابقه كتاب التوحيد جديران بأن يترجمان للغات العالم الإسلامي، لمزيد من التوعية وكشف شبهات البطلين والمرتزقة بالأضرحة والعكوف عليها. والله المستعان.

(١) منير العجلاني ، عهد الإمام عبدالعزيز بن محمد ، ص ٣.

(٢) بياض في الأصل ولعل الاسم كاملاً ما ذكر.

(٣) عنوان المجد ، طبعة وزارة المعارف ، ص ٤١٨.

(٤) المصدر السابق ، ص ٤٢٣.

(٥) الرائد فهد عبدالعزيز الدعيع ، الأمن والإعلام في الدولة الإسلامية ، المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب بالرياض ، ص ١١٧ ، بتصرف.

(٦) مؤلفات الشيخ الإمام ، الرسائل الشخصية ، رسالة رقم ٢٢ ، ص ١٥٦ بتصرف.

(٧) المصدر السابق ، رسالة رقم ٤١ ، ص ٢٨٤.

(٨) المصدر السابق ، رسالة رقم ٤٤ ، ص ٢٩٦.

- (٩)المصدر السابق ، رسالة رقم ١٢ ، ص ٧٨٧٩.
- (١٠)عبد الله العثيمين ، الشيخ محمد بن عبدالوهاب حياته وفكره ، ص ١٦ ، بتصريف .
- (١١)صالح عبد الله العبود ، عقيدة الشيخ محمد بن عبدالوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي ، مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ.
- (١٢)عبد الله العثيمين ، الشيخ محمد بن عبدالوهاب حياته وفкарه ، ص ١٦ ، بتصريف .
- (١٣)حسين بن غنام، روضة الأفكار ، تحقيق الدكتور ، ناصر الدين الأسد ، ص ٨١ عثمان بشر ، عنوان المجد ، طبعة وزارة المعارف ، ص ٢٢.
- (١٤)وحسنة الألباني في»الصحيحة« ح ٢٣١.
- (١٥)ابن تيمية ، السياسة الشرعية ، تحقيق محمد أيمن الشبراوي ، دار الكتب العلمية ص ٦٨.
- (١٦)عنوان المجد ، ص ١٢٢.

---

من فقه الدعوة  
نظارات تربوية  
في خلق الصدق

- ١ -

عبدالعزيز بن ناصر الجليل

منزلة الصدق منزلة عظيمة ليس في دين الإسلام فقط بل في جميع الأديان، لا لأنه خلق من الأخلاق الحميدة فحسب، بل لأنه أصل الإيمان المقبول عند الله عز وجل، وهو أساس النجاة من عذاب الله عز وجل ، وبه يتميز أهل الإيمان الحق من المنافقين الكاذبين، يقول الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى في منزلة الصدق: «وهو منزل القوم الأعظم الذي منه تنشأ جميع منازل السالكين، والطريق الأقوم، الذي من لم يسر عليه فهو من المنقطعين الهاكرين»... إلى أن يقول: « فهو روح الأعمال، ومحك الأحوال، والحامل على اقتحام الأهوال، والباب الذي دخل منه الواصلون إلى حضرة ذي الجلال، وهو أساس بناء الدين، وعمود فسطاط اليقين ، ودرجته تالية لدرجة (النبوة) التي هي أرفع درجات العالمين».

ولقد تضافرت الأدلة من الكتاب والسنة وأثار السلف في فضل الصدق وخطوره أمره وعلو شأنه. ولقد اخترت هذه الوقفات التربوية لخلق الصدق في ضوء القرآن الكريم لمعالجة هذا الموضوع الذي يهم كل مسلم بصفة عامة ، وبهم الدعاة إلى الله عز وجل بصفة خاصة ، لاسيما في واقعنا المعاصر ، وتتجلى أهميته في الأمور التالية:

**الأمر الأول:**

لأنه أساس الإيمان ، وركنه الركيان ، وأساس قبول الطاعات والقربات عند الله عز وجل، وعليه يترتب الأجر والثواب يوم القيمة، قال تعالى:((ليجزي الله الصادقين بصدقهم)) (١) وقال تعالى:((هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم جناتٌ تجري من تحتها الأنهر...)) (٢) ولأنه أساس الطاعات وجماعها ، فقد أصبح الصفة الفارقة بين المؤمن والمنافق.

يقول الإمام ابن تيمية رحمه الله تعالى: «الصدق أساس الحسنات وجماعها، والكذب أساس السيئات ونظامها ، ويظهر ذلك من وجوه منها:

\*أن الصدق هو المميز بين المؤمن والمنافق ، ففي الصحيحين عن أنس عن النبي: «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا اؤتمن خان»(٣) ، وفي حديث آخر: «على كل خلق يطبع المؤمن ليس الخيانة»(٤) وقد وصف الله المنافقين في القرآن بالكذب في مواضع عدّة ومعلوم أن المؤمنين هم أهل الجنة ، وأن المنافقين هم أهل النار في الدرك الأسفل منها.

\*أن الصدق هو أصل البر ، والكذب هو أصل الفجور ، كما جاء في الصحيحين عن النبي: «عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر...»(٥).

\*أن الصادق تنزل عليه الملائكة، والكافر تنزل عليه الشياطين كما قال تعالى: ((هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفالك أثيم يلقون السمع وأكثرهم كاذبون)) (٦)(٧).

### الأمر الثاني:

أن الصدق في كل الأمور يصل صاحبه إلى مرتبة«الصادقة» ، التي هي المرتبة التالية لمرتبة النبوة ، وعندما أقول في كل الأمور أريد من ذلك عدم حصر الصدق في اللسان فقط ، وإنما الصدق في النيات والأقوال والأعمال والأصل تحرى الصدق في ذلك كله.

إن مواجهة النفس على تحرى الصدق في جميع الأمور يصلها إلى هذه المرتبة العظيمة مرتبة«الصادقة» كما جاء في الحديث السابق الذكر: «... ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا»(٨).

وهنيئاً لمن وصل إلى هذه المرتبة ، فيا لها من رتبة ، وما أشرف قدرها وأعظم فضلها ، يقول الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى في وصف أهل هذه الطبقة: «الطبقة الرابعة ورثة الرسل وخلفاؤهم في أممهم ، وهم القائمون بما بعثوا به علمًا و عملاً و دعوة للخلق إلى الله على طريقهم ومنهاجهم ، وهذه أفضل مراتب الخلق بعد الرسالة والنبوة ، وهي مرتبة الصادقة ، ولهذا قرنهم الله في كتابه بالأنبياء فقال تعالى: ((ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا)) (٩).

### الأمر الثالث:

ثمرات الصدق العظيمة التي تحصل منه في الدنيا والآخرة من البركة والقبول والإصلاح في الدنيا ، والأجر العظيم والثواب الجزيل في الآخرة وسيأتي تفصيل كل ذلك إن شاء الله تعالى في (ثمرات الصدق).

### الأمر الرابع:

خطورة الكذب والنفاق وأثرهما على الفرد والمجتمع والأمة وبخاصة في مجتمعاتنا اليوم التي كثر فيها الكذب والدجل والمداهنة ، وقل الصدق فيها والصادقون ، ولا أعلم والعلم عند الله عصراً ظهر فيه الكذب والنفاق بوسائله الماكرة المتطرفة كما ظهر في عصرنا اليوم ، حتى أصبح الكذب له مدارسه وأساليبه التي تعلم الناس كيف يكذبون ، وكيف ينافقون وكيف يدلّسون... الخ ، ولا أبالغ إذا قلت إن وسائل الإعلام اليوم المقروءة منها والمسموعة والمنظورة قد قامت في أغلب برامجها على الكذب ، وقلب الحقائق وتسمية الأمور بغير أسمائها ، وقد تجاوز الأمر حده حتى أصبح المعروف منكراً والمنكر معروفاً ، وظهر الحق في صورة الباطل ، والباطل في صورة الحق ، وأصبحنا نسمع من يقول عن المسلم الصادق الذي يتحرى الصدق بأنه ساذج وبسيط وسطح... الخ ، في الوقت الذي يوصف الكاذب المنافق بأنه السياسي الحكيم المحنك ، إن مجتمعاً كهذا حري بالسقوط والدمار ، ولا نجاة ولا فلاح إلا بالصدق ، والأمة الصادقة مع ربها سبحانه ومع رسولها حصلت الله عليه وسلم-لا تهزم أبداً.

### الأمر الخامس:

ظهور بعض علامات ضعف الصدق في صفوتنا معاشر الدعاء إلى الله عز وجل، وذلك بوجود بعض التصرفات والممارسات التي تتنافى مع الصدق في الدعوة إلى الله عز وجل والجهاد في سبيله، فقلّ الصادقون الربانيون الذين يصدقون في نياتهم وأقوالهم وأعمالهم، ويضخرون في سبيل الله عز وجل بكل ما يملكون لنيل مرضاته وحبه، نعم إنه بمحاسبة عجل لنفسنا يتبيّن لنا هذا الضعف، وأننا في أمس الحاجة إلى تقوية هذا الخلق، ونبذ كل ما يتناهى معه من صور الكذب والنفاق ووهن العزيمة، وضعف الهمة، وإلا فما معنى وجود هذه الجهود الضخمة المبذولة اليوم في طرق الدعوة إلى الله عز وجل ، ثم لا نرى لها إلا أثراً ضعيفاً لا يكفي تلك الجهود المبذولة؟!

### الأمر السادس:

إن الصراع الذي نشاهده اليوم بين الحق والباطل ، بين دعاء الشر والكفر ودعاة الخير والإصلاح ، ليحتم على أهل الخير حرصهم الشديد على الصدق مع الله سبحانه وليقين بنصره وثوابه ، حتى لا تزل الأقدام ، وتضعف العزائم إزاء هذا البلاء العظيم والمعركة الشرسة بين الحق والباطل ، وهذه المواطن هي التي يتميز فيها الصادقون عن سواهم ، قال تعالى: ((الم \* أحسب الناس أن يترکوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتون \* ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدوا ولیعلمن الكاذبين)) (١٠).

وكذلك أيام الفتنة لا يثبت فيها إلا الصادقون العاملون ، وهم الذين يشرفهم الله عز وجل بنصره ، ويمكن لهم في الأرض ، و يجعلهم أئمة و يجعلهم الوارثين.

### حقيقة الصدق:

إن حقيقة الصدق أوسع من كونها الصدق في الحديث فقط ، وإنما حقيقة الصدق شاملة لصدق النية والعزمية ، وصدق اللسان ، وصدق الأفعال ، يقول الإمام ابن تيمية رحمه الله تعالى : «ومما ينبغي أن يعرف أن الصدق والتصديق يكون في الأقوال وفي الأفعال كقول النبي صلى الله عليه وسلم-في الحديث الصحيح: «كتب على ابن آدم حظه من الزنا، فهو مدرك ذلك لا محالة، فالعينان تزنيان وزناهما النظر ، والأذنان تزنيان وزناهما السمع ، واليدان تزنيان وزناهما البطش ، والرجلان تزنيان وزناهما المشي ، والقلب يتمنى ويشتهي ، والفرج يصدق ذلك أو يكذبه»(١١).

ويفصل الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى القول في هذا المعنى فيقول: «والإيمان أساسه الصدق ، والنفاق أساسه الكذب ، فلا يجتمع كذب وإيمان إلا وأحدهما محارب للآخر».

وأخبر سبحانه: أنه في يوم القيمة لا ينفع العبد وينجيه من عذابه إلا صدقه قال تعالى: ((هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم جناتٌ تجري من تحتها الأنهر خالدين فيها أبداً رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم)) (١٢) وقال تعالى: ((والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقوون)) (١٣) ، فالذي جاء بالصدق هو من شأنه الصدق في قوله وعمله وحاله ، والصدق إنما يكون في هذه الثلاثة: فالصدق في الأقوال: استواء اللسان على الأقوال كاستواء السنبلة على ساقها ، والصدق في الأفعال: استواء الأفعال على الأمر والمتابعة كاستواء الرأس على الجسد ، والصدق في الأحوال: استواء أعمال القلب والجوارح على الأخلاق ، واستفراغ الوسع وبذل الطاقة ، ف بذلك يكون العبد من الذين جاءوا بالصدق ، وبحسب كمال هذه الأمور فيه ، وقيامها به تكون صديقته ولذلك كان لأبي بكر الصديق رضي الله عنه وأرضاه ذروة سنام الصديقية فسمى (الصديق) على الإطلاق، و(الصديق) أبلغ من الصدق، والصدق أبلغ من الصادق، فأعلى مراتب الصدق مرتبة الصديقية وهي كمال الانقياد للرسول صلى الله عليه وسلم-مع كمال الإخلاص للمُرسل»(١٤).

### الفرق بين الصدق والإخلاص:

الصدق والإخلاص عملان قبيان من أعظم أعمال القلوب ، وأهم أصول الإيمان ، فأما الصدق فهو الفرقان بين الإيمان والنفاق ، وأما الإخلاص فهو الفرقان بين التوحيد والشرك في قول القلب واعتقاده أو في إرادته ونيته والأعمال التي رأسها وأعظمها»شهادة أن لا إله إلا الله« لا تقبل إلا بتحقيق الصدق والإخلاص.

ومن هنا كان الصدق والإخلاص شرطين من شروطها ، ولذلك كذب الله المنافقين في دعوى الإيمان، وقول الشهادة لانتقاء الصدق، فقال:((إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون)) (١٥) ، وقال: ((فليعلمن الله الذين صدقوا ولليعلمن الكاذبين)) (١٦).

كما أبطل سبحانه زعم أهل الكتاب والمرجعيين أن دينهم هو الحق بانتقاء الإخلاص فقال: ((لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمرجعيين منكين حتى تأتبوا لهم البينة)) (١٧) ، إلى أن يقول: ((وما أمرنا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكوة وذلك دين القيمة)) (١٨). والصدق والإخلاص مع تقادهما ترادفهما أحياناً يميز بينهما بتعریف ضد كل منهما: فالصدق ضده انتقاء إرادة الله بالعمل أصلاً، كمن آمن وصلى كاذباً ولم يرد الإيمان والصلاه، وإنما فعل ذلك لسبب آخر، كما فعله المنافقون حفظاً لأنفسهم وأموالهم من السيف، وجبراً عن تحمل أعباء المواجهة الصريحة للإيمان.

والإخلاص ضده انتقاء إفراد الله بالإرادة والتوجه كمن آمن أو صلّى صارفاً ذلك لأحد مع الله، وهذا هو الشرك الذي وقع فيه أكثر العالمين، وعلى قدر ما يحقق العبد الإخلاص لربه يكون ترقيه في»المخلصين« الذين صرف الله عنهم غواية الشياطين وأثني عليهم في كل أمة»(١٩). وللحديث بقية..

### الهوامش:

- (١)الأحزاب ، آية ٢٤.
- (٢)المائدة ، آية ١١٩.
- (٣)البخاري، كتاب الإيمان، ج ٢٤ الطبعة الأولى، ص ١٤ ، مسلم كتاب الإيمان، الطبعة الأولى، طبعة دار الكتب العلمية.
- (٤)رواه الإمام الحاكم وضعفه الألباني.
- (٥)البخاري، كتاب الأدب، ج ٣ ص ٥٩، طبعة إسطنبول؛ مسلم كتاب البر، ج ٢ ص ٤٣٨ ، طبعة الكتب العلمية.
- (٦)الشعراء: ٢٢٢-٢٢١.
- (٧)مجموع الفتاوى ، ٢٠/٧٤.
- (٨)سبق تخریجه في رقم (٥).
- (٩)النساء ، آية ٦٩.
- (١٠)سورة العنكبوت: ١.
- (١١)البخاري ، ٢٢/١٠ كتاب الاستئذان.
- (١٢)سبق تخریجها في رقم (٢).
- (١٣)مدارج السالكين ، ٢/٦٩.
- (١٤)الزمر: ٣٣.
- (١٥)المنافقون: ١.

(١٦) العنكبوت: ٣.

(١٧) البينة: ١.

(١٨) البينة: ٥.

(١٩) ظاهرة الإرجاء في الفكر المعاصر ص ٤٣٨.

## دراسات دعوية إشكالية المناهج في واقع الدعوة

سليمان عبدالعزيز الربعي  
مدخل:

سنة ربانية أن تتعدد طرق البلاغ في محاور من السبل المختارة الرامية إلى نتاج مبارك ، وهو واقع مُرضي في حقيقته منه سبحانه وتعالى ، شرط اتحاد وجهات الهدف على نحو موافق لمراده ومراد رسوله صلى الله عليه وسلم- بلا لبس أو غيش. إن ذلك أيضاً هو ذات الحقيقة في دعوة المحجة القرآنية في غير ما موضع ، حيث اختلفت بجلاء أماكن الرسول عليهم الصلاة والسلام في دعواتهم إلى أقوامهم ، في الوقت الذي اتفقت فيه أهدافهم الكامنة في توحيده جل وعز وحده لا ند له.

وبأقل قدر من الملاحظة يمكن للسابر أن يستجلي ما تقرر في آي الذكر الحكيم، ذلك لوضوحيه وببروزه ، وها نحن نصطف في سورة هود تقييداً وتأسياً.

إن ذلك يتجسد بمفتاح يذكر فيه تعالى» قصص الأنبياء عليهم السلام للنبي صلى الله عليه وسلم- تتبيناً له على ملازمته الصبر على أذى الكفار إلى أن يكفيه الله أمرهم«(١).

بدءاً بقصة نوح مع قومه ، ثم تتابع قصص النبيين هود وصالح ولوط وشعيب في مضامين حوارية رائعة السبك والمدلول ، وكل قوم توجيهه خاص يناسب معطيات الحديث وتركيبة العقل المخاطب،

فقوم نوح مثلوا قمة البطر العنصري والتجبر الجنسي، مقسمين المجتمع قسمين: نبلاء أشراف،

وأرذل دهماء: ((وما نراك اتبعك إلا الذين هم أرذلنا بادي الرأي...)) (٢)، قال ابن كثير رحمة الله : «وما نراك اتبعك إلا الذين هم أرذلنا كالباعة والحاكة وأشباههم ، ولم يتبعك الأشراف ولا

الرؤساء منا»(٣) ، وهؤلاء ناسبهم خطاب التمسك بحق هؤلاء الضعفاء في الدين ، والتسليم بأن مرد ذلك إلى الله وحده فلا يستطيع نوح طردتهم ، ولا يدرى بما يدخله الله لهم في الآخرة ، إمعاناً

في التبكيت ، ودحضاً لوسائلهم المعتادة في الرفض ((وما أنا بطارد الذين آمنوا)) (٤) ((ولا أقول للذين تزدري أعينكم لن يؤتنيهم الله خيراً، الله أعلم بما في أنفسهم، إني إذا لمن الظالمين)) (٥).

لقد كان فهماً فاسداً مؤداه أن الحق لا يمكن أن يتبعه إلا الأشراف دون غيرهم ، الأمر ذاته الذي تبننته قريش.

وأما قوم هود ، فَخُس عنهم الغيث ، وانقطع نسلهم ، فكانا خطبين متوازيين يؤديان إلى الهلاك المادي والمعنوي ، بانقطاع الذكر والأثر في الثاني وندرة المورد في الأول ، ومن ثم ناسبهم منهاج خطاب الوعود بالغيث ومدد القوة ((ويا قوم استغروا ربكم يرسل السماء عليكم مدراراً ويزدكم قوة إلى قوتكم)) (٦) ، وحكمة هذا البيان الدعوي المحسوس إنما هي موافقته لواقع الحال ، كما ذكر ذلك المفسرون(٧).

وأختلف الخطاب عند البيان لقوم صالح ، إذ جاء مذكراً إياهم بنعمة التعمير والاستخلاف الممتد طوراً بعيداً ، فكان الواجب آنئذ: الإعمار المبارك واستغلال طول الأمد بالعبودية المفردة: ((وإلى ثمود أخاهم صالحًا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره هو أنساكم من الأرض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا إليه إن ربى قريب مجيب))<sup>(٨)</sup> ، ومعناه أرجأكم بنسيء الأجل «وكانت أعمارهم من ثلاثة إلى ألف»<sup>(٩)</sup>.

ويتوالى بيان الدعوة ليمتد إلى عهد لوط عليه السلام فيعتمد إلى أسلوب التذكرة الفطرية بالتناسب الطبيعي للأجناس البشرية ، من حيث كونه هداية أبدية ، يجنب بها المذكر إلى المؤمن في الأحياء كافة ، وكذا في مثله في السالب والموجب في ذرات الكون كلها ((وجاءه قومه بيهرون إليه ومن قبل كانوا يعملون السبيلات قال يا قوم هؤلاء بناتي هن أطهر لكم فاتقوا الله ولا تخزون في ضيفي أليس منكم رجل رشيد))<sup>(١٠)</sup> ، أي راشد يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر كما أجمع عليه المفسرون رحمة الله.

ثم يختلف الأسلوب تماماً في الموقف الخامس من السورة ، في معرض الحديث عن قصة شعيب مع قومه أهل مدین ، فقد كانوا أصحاب تجارة وأرباب أموال ، غير أنهم معه كانوا ينقسون الناس حقوقهم في الكيل والميزان ، ولذا ناسب أن يخاطبهم شعيب عليه السلام بقوله المخبر عنه في القرآن الكريم: ((ولا تنقصوا المكيال والميزان))<sup>(١١)</sup> ، ذلك لكونه لاحظ بظرهم مع غناهم فالقوم كانوا في سعة من الرزق ، يقول الإمام الطبرى في معرض تفسيره للخير في قوله: «إنى أراكم بخير»: «عن الحسن قال: الغنى ورخص السعر»<sup>(١٢)</sup>.

لقد عشنا في خمس جولات تباينت فيها ملامح المناهج الدعوية ، فهي تأخذ في كل جولة معالم محددة بسيارات المناخ والتركيب العقدي والفكري وذلك على النحو التالي:

١- الأولى منها دعوة إلى المساواة وكسر حاجز البطر العنصري البغيض الذي يمتد من عهد نوح عليه السلام مروراً باليونان فقرىش إلى عصرنا المتمدن!.

٢- والثانية دعوة ذات طرح إصلاحي يعد بالنماء والازدهار وحللة الوضع الكاسد في البنية العددية الهيكلية ، والرواء بعد قتامة التصحر والجدب الجاثم.

٣- وأما الثالثة فيمكن أن يعبر عنها بأنها دعوة تعميرية ناضجة ، قوامها البناء المشيد والعقل المدرك الوااعي بأهمية استغلال الاستخلاف الممتد بالصلاح والعمل رجاء رضوان الله ، وتوحيده للبنية.

٤- وتأخذ الرابعة تقاسيم الدعوة الأخلاقية نحو مضامين التناسب الهرمي والمجتمعي للأمة ، والدفاع عن حق المرأة في الاستقرار النفسي والزواج والأمومة والتعبير الحي ، ورفض واقع البشاعة الخلقية والدمير الفضولي المستمر في حياتهم ، الذي ينتج عنه انقلاب الفطرة وفساد الرؤية وحلول الخواء القيمي والروحي بسبب تلك الممارسات المرفوضة شرعاً وعقلاً وفطرة. إنها باختصار: دعوة نحو الأفق المشرق والغد السعيد والرضا النفسي الذي لا يُحد.

٥- وفي الموقف الخامس تتضح أمارات الدعوة الاقتصادية المدركة ، ذات البعد الرصين والرصيد الثري من معطيات التفكير الجاد والوااعي الذي يحسب لكل شيء حسابه ، تأسيساً لحقائق المعاصرة من كون الغبن الاقتصادي لا يؤدي إلا إلى نتائج معاكسة لا تحمد عقباها: «إن المعاملات الأخلاقية لابد أن تستند إلى أصل ثابت لا تتعلق بعوامل مقلبة»<sup>(١٣)</sup> ، ومن ثم تصبح نتيجة التخلص عن هذا الأصل الثابت دماراً شاملًا ، إذ «يؤتي هذا الغش والغصب ثمارهما المرة في حالة المجتمع وفي حركة التجارة ، وحين يذيق الناس بعضهم بأس بعض»<sup>(١٤)</sup>.

إننا بعد هذا التباهي يجب أن ندرك حقائق مهمة تكمن في مصادر التشريع ، غير أننا عنها غافلون أو متغافلون ، حين يصبح الصخب واللجاجة من أهم أدوات»البروز« لدى البعض ، ومن تلك الحقائق:

أولاً: أن الأسلوب في الدعوة خاضع لواقع المدعوين وحالهم التي هم عليها على نحو ما ذكر آنفًا ، حيث خطب كل قوم بما ناسبهم ، وبما كان أدعى لقبولهم لو كانوا يعقلون!.

ثانياً: أن الله سبحانه وتعالى رضي هذا المنهاج ، بدليل حكايته في كتابه العزيز وتصوирه في أكثر من سورة بترسيخ وتثبيت ، الأمر الذي يفهم منه أن ذلك عرض توجيهي يجب على الدعاة إلى الله تمثله والعلم به ، ملتزمين اختيار الأسلوب الأمثل في موقعه الملائم.

ثالثاً: أن شرط ذلك هو اتحاد الهدف الذي يحاول أولئك الرسل عليهم الصلوات والسلام الوصول إليه ، وهو إجماعهم على القول: «يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره» ، فهذا هو الأصل المتبغى والهدف المرام. ولأجل تحقيق هذا البيان والتاكيد عليه فقد ختمت سورة (هود) بقوله: (وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم إنا عاملون) ، كما افتتحها بالتأكيد على: (اعبدوا الله ما لكم من إله غيره) ، وقبلها (أن لا تعبدوا إلا الله) ، فهو قد ذكر التوحيد والإيمان بالرسل ، فهذا دين الله في الأولين والآخرين ، قال أبو العالية: «كلمة يُسأل عنهم الأولون والآخرون ماذا كنتم تعبدون، وماذا أجبتم المرسلين؟»(١٥).

رابعاً: أن في هذا البيان الإلهي إرشاداً خالداً يضع أساسيات العمل للدين ، بل لاتخاذ المواقف المناسبة تجاه سائر الأحداث.

إن الواجب علينا جميعاً أن نتمثل هذه الحقائق المكتنزة في سورة (هود) فيما نُخْفِتُ إن لم نلغ ذلك التلاسن النقاشي الذي قلما يُفقد في منتدياتنا ومجالسنا العامة فضلاً عن الخاصة مع شديد الأسف حول المناهج وأهليتها الشرعية والتحصيلية في واقعنا المعاصر ، حيث بتنا نسمع بلا مقدمات صيحات الحط من فلان أو علان بحجة التخبط في المسار أو سوء الوسيلة يصاحب ذلك أحياناً انتقال إعلامي منقطع النظير يقف موقف الضدية منها ولست أعرف تماماً من الذي أعطى هؤلاء أو أولئك حق النقض والغمز واللمز بل من الذي أ Nichols بأن هذا المنهاج مستقيم وذاك معوج؟ إن الواقع يشهد بأن لا أحد ، وعليه فيجب الكف عن مثل ذلك التصور الخاطئ مادامت فروض المرجعية المشروطة متوفرة في الأصول لتلك المناهج ، وإن كان ثمة خلاف بين المصلحين فإننا نطالبهم بتلمس العذر بعضهم لبعض ، ليس في العقائد ولكن في فرعيات النصوص وفصول الفوائد.

لقد اندرجت سنة الله في تقسيم الإمكانيات والمواهب بينخلق تمضي على الأولين والآخرين ، ومن العبر بالعقل أن نحرم دعاتنا ومصلحتينا من هذه السنة(!) فلا ندرك تفاوتهم العلمي والإدراكي والاهتمامي ، بأن نبتعد منهاجاً جديداً في الجرح والتعديل.

إن على الجميع أن يعلموا بإدراك أن ثمة معطيات جديدة برزت على السطح ، هي في تشكيلها ومضمونها متباعدة مختلفة ، وأن يعلموا بإدراك أيضاً أنه قد نشأت على لوحة الأفق معالم عالم جديدة ، تتبغي أطروحتات مناسبة وتنتظر أصواتاً مكتظة بوعي جديد سديد تبدي عقاً في التصور والفعل والممارسة والاختيار ، في وقت يُتمسك فيه بالجذور والأصول من لدن تلك الأصوات. إن نحواً وهوداً وصالحاً ولوطاً عليهم الصلاة والسلام دعاء إلى الله جل وعز يرتبون مع غيرهم من سائر الدعاة بهذه الصفة، سامون عنهم بالنبوة وتشريف الوحي والتلقى، وهنا نفهم أنهم في اختيار مناهجهم ينطلقون من رصد مضمونى ودلالي لأحوال قومهم التي تناسبها تلك المناهج ، وعليه فلا عجب ولا اعتراض حينما يختار الداعية لنفسه منهاجاً في دعوته يستشعر أنه سبيله للتأثير والإقناع شريطة أن تتجذر فيه مرامي الأساس الكامنة في رباط القرآن الكريم والسنة المطهرة الشريفة ،

لأنهم يفتقدون ميزة امتازت بها مناهج أولئك الأنبياء ، ألا وهي التزكية من الله سبحانه عن طريق الوحي والمباشرة.

إن من الدعاة إلى الله من هم ملهمون ، جذلت الأمة يوم أن بрезوا على الساحة ، يكملون نقصاً تعتبر أهمية سداده من بديهيات الإحاطة بشمولية الصحوة وعالمية الدعوة إلى الله ، فمنهم من هو مهياً تماماً للبيان الفقهي والإصابة في الفتيا حين يمتلك شروطها ، علمًا بالكتاب وفهمًا للسنة ومعرفة بالأصول والناسخ والمنسوخ وأقوال أهل العلم وتتوفر كافة متطلبات الاجتهاد وشروط التصدر للإفتاء.

ومنهم من هو مهياً للبيان العقدي والتحذير من دجل المبتدعة ، وربط المجتمع بأصول الاعتقاد ، ولفت أنظارهم إلى مداخل الشيطان في التشكيك وكيفية التعامل معه ، ودحض مزاعم المفترين ، وزيادة إيمانهم بالتدارس والتعهد.

ومنهم كذلك من لا يُلحق شأوه في المعرفة بكتاب الله قراءة وإدراكاً وفهمًا وسبراً ، يسانده تعلق بالقرآن قلبي ، ونهم على كتب التفسير تمثلاً ووعياً.

ومنهم اللغوي الحاذق ، يشرح غريب النص ، ويربط بين فقراته ، ويبين بلاغته وإعجازه ويحشد الشواهد تأييداً له ، ويجعل من فقهه اللغوي خادماً لدعوته.

ومنهم الأديب ، يربى الذوق ، ويتلمس مواطن الجمال ، ويعيد للروح نشاطها وصفاءها وجذوها ، إن من الدعاة من ينتهج أسلوب الأدب الجمالي الفني في محادثة طائفة من الناس ودعوتهم ، لا يصلح لهم إلا ذلك ، يفتح مغاليق القلوب ، ويطرق أبواباً ما كان يمكن أن تُفتح بأسلوب آخر.

ومنهم المطلع على أمور الحياة ، يلحظ مجريات الحدث ، ويرصد تحركات الواقعية يحلل ويفسر ويقرر ويستتبّط ، المعنى فطن يتسلح بإدراك شرعي يحثه على المواصلة ومتابعة واقع الأمة وحالة المسلمين، انطلاقاً من: «من تعلم سياسة قوم أحسن التعامل معهم وكشف زيفهم ورد حجتهم وذاد عن المسلمين ما وسعه الوسع» ، قياساً على: «من تعلم لغة قوم أمن مكرهم».

ومنهم الاقتصادي الخبير، يحسن الطرح والجمع، ويفقه أحوال البورصة وتداول الأسهم ومضاربات البنوك، يحذر من مصير اقتصادي أو يكشف زيف تلاعب ربوبي، أو يمنحه الله قوة وسموّاً فينشئ لأمته مؤسسة بديلة تُغيّبها عن جحيم تعاملي مشبوه.

هذا يجب أن نفهم وأن نتفهم، لأن نبقى أبداً نجادل في المسلمات ونصرخ بالصدى المعتمد! لقد أمسينا نعاني من تضخم في واقع النقد ، حيث نُكست سهام المواجهة لترتد فيما بين المُحاربين أنفسهم، كل منهم يحاول تلمس النقص لإبدائه، وتتبع العثرة والزلة لبيانها، الأمر الذي أثر على مستقبليات الدعوة وأمالها.

إن النقد مطلوب ، وحين يوجد النقد الموضوعي توجد الأعمال المثمرة الفاعلة ، غير أنه نقد ذو مواصفات خاصة قوامها النية الطيبة، والهدف الخالص الصالح ، والعمق العلمي والمنشود ، فعندئذ نفرح به لأنه يقوم ويُعمّر ويبني ، في حين نرفض كل الرفض ممارسات ثلاثة من الذين ابتعدوا عن منهج الدعوة الحقة بفقدتهم الجارح الذي يتوجه في كثير من الأحيان إلى الشخص و هو إن اتجه يوماً للمناهج كان ساذجاً إلى حد لا يمكن قبوله مليئاً بالفصل والجسم والرفض والتشريع والقبول والرضا من غير يقين شرعي وتفصيل يفرق بين الصالح والطالح والخطأ والصواب... وهو نوع من الظلم لا يحق لأحد من البشر ممارسته، فهم يملكون حق التوجيه والنقد بشرطهما المعتبرة شرعاً وعقلاً وخلفاً.

إن من أدبيات الحوار والخلاف والنقد أن يُفسح للآخر مكان ينتقد من خلاله ، لا أن تتم المعالجة من خلف الكواليس وفي عتمة الليل ، ونحن نخاطب الذين زُين لهم عملهم فرأوه حسناً ، نخاطبهم بأن

تكون» قاعدة الأخلاق عندهم هي إرضاء الله وانتظار ثوابه ؛ ليصبح ما يهرب به أصحاب المذاهب لغواً في ظل النظرة الأخلاقية الإسلامية»(١٦).

لقد مضت أزمان النظرة الواحدة ، والمشروع الفريد ، والأسلوب الأوحد لتحل محلها النظرة السديدة الموضوعية ، والمشروعات المقترحة ، والأساليب المتنوعة ، وهي دعوة للجميع لأن يتمثلواها ، ودعوة خاصة لأولئك الذين نصبووا من أنفسهم الضعيفة مراجع الحكم ، جاعلين على رؤوسهم تيجان التفرد بالقرار والصيغة في حكمهم على المناهج والسبل المختارة والمرتضاة، ونحن في حقيقة الأمر نطرح قضية كان يجب أن تكون مسلمة من الجميع وبخاصة من يُعنون بذلك ، لأنهم مازالوا مع سورة (هود) يقرؤونها صباح مساء.

أما إن كان أولئك السادة ممن يدعون الفهم والحسافة دون غيرهم، فإننا نسارع إلى تذكيرهم بباب الاجتهاد الواسع بين أهل العلم ، ليدركوا أن المنهج الدعوي إنما هو وسيلة لهدف أسمى نبيل ، يتجسد بالعبودية لله على اختلاف صورها ومجالاتها ووسائلها، وليس يعوزنا التدليل على ذلك الأمر ، فهو مثبت في أي الذكر الحكيم ، يرتبط تمام الارتباط بحال المدعوين وماهية القضية المطروحة، فتأخذ أشكال الاختصاص والنوعية، في حين يبقى للأصول المباركة أهميتها وجذوتها ومشروعية بثها وتعليمها للناس، تلك الأصول التي نطالب بأن تكون مرجعية للمناهج المختارة والوسائل المطروحة على كل حال.

إننا نطالب بهذا الفهم من الجميع بعموم ، وأهل القصد بخصوص حتى» يظهر وجه الموالاة والتحاب فيما بين المختلفين في مسائل الاجتهاد، وحتى لا يصيروا شيئاً ولا يتفرقوا فرقاً؛ لأنهم مجتمعون على طلب قصد التسارع فاختلاف الطرق غير مؤثر، كما لا اختلاف بين المتعبدين لله بالعبادات المختلفة كرجل تقربه الصلاة، وآخر تقربه الصيام، وآخر تقربه الصدقة... إلى غير ذلك من العبادات، فهم متقون في أصل التوجّه إلى الله، وإن اختلفوا في أصناف التوجّه، فكذلك المجتهدون لما كان قصدهم إصابة مقصد الشارع صارت كلمتهم واحدة وقولهم واحداً»(١٧)، والله وحده المستعان.

### الهوامش:

- (١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ج ٢، ص ٢٢، طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٥ هـ.
- (٢) سورة هود: ٢٧.
- (٣) تفسير القرآن العظيم ، ج ٢ ، ص ٤٤٢ طبعة دار الفكر.
- (٤) »سورة هود: ٢٩.
- (٥) سورة هود: ٣١.
- (٦) سورة هود: ٥٢.
- (٧) الجامع لأحكام القرآن ٥١/٩.
- (٨) سورة هود: ٦٣.
- (٩) فتح القيدير الجامع بين فني الرواية والدرایة من علم التفسير للإمام الشوكاني ج ٢ ص ٧٣٣ ، طبعة المكتبة التجارية، مكة المكرمة.
- (١٠) سورة هود: ٧٨.
- (١١) سورة هود: ٨٤.
- (١٢) جامع البيان في تأويل القرآن للحافظ الطبرى، ج ٢ ، ص ٩٧ ، طبعة دار الكتب العلمية» الأولى»، ١٤١٢ هـ (بتصرف يسir).

(١٣) في ظلال القرآن للأستاذ سيد قطب رحمه الله ج٤، ص ١٩١٧، طبعة دار الشروق»الرابعة عشرة» ، ١٤٠٨ هـ.

(١٤) المرجع نفسه ، ص ١٩١٨ .

(١٥) مجموع فتاوى شيخ الإسلام رحمه الله جمع وترتيب عبدالرحمن بن قاسم وابنه محمد رحهما الله م ١٥ ص ١٠٤ - ١٠٥ .

(١٦) في ظلال القرآن ، ص ١٩١٨ .

(١٧) المواقفات في أصول الشريعة للإمام الشاطبي ، م ١ ، ج ٤ ، ص ١٦٠ ، طبعة دار الكتب العلمية»الأولى» ، ١٤١١ هـ ...

## خواطر في الدعوة أو خير هو؟!

محمد العبدة

جاء في صحيح مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم -قام خطب الناس ، (قال: لا والله ما أخشى عليكم أيها الناس إلا ما يخرج الله لكم من زهرة الدنيا ، فقال رجل: يا رسول الله أيأتي الخير بالشر؟ فصمت رسول الله صلى الله عليه وسلم ساعة ثم قال: كيف قلت ، قال: قلت يا رسول الله أيأتي الخير بالشر؟ فقال له رسول الله: إن الخير لا يأتي إلا بخير ، أو خير هو؟ إن كل ما ينبت الربيع يقتل حبطاً أو يلْم...)(١) ، أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم -أن يحذر المسلمين من فتنة المال ، وهي فتنة كبيرة ، إلا من أخذ بحقه ، ووضعه في حقه ، فالمال خير ، كما سماه الله سبحانه وتعالى في القرآن ، ولكن الحريص عليه والشره في جمعه هو الذي يهلك ، كما أن نبات الربيع خير ولكن الحيوان الذي يأكل بصورة خاطئة هو الذي يُصاب بالتخمة (ويقتل حبطاً) فالمشكلة في طريقة تناول الخير ، وطريقة أخذ الأشياء بقواعدها وأصولها السليمة إن العلم خير ، ولكن إذا أخذ كمعلومات للتقدس ، ولم يتحول إلى ما ينفع الناس في الدنيا والآخرة ، ولم يتحول إلى أداة لتغيير واقع المسلمين المحزن ، فإنه سيكون وبالاً على أصحابه ، وقد قال حكيم لرجل يستكثر من العلم دون العمل: يا هذا إذا أفنيت عمرك في جمع السلاح فمن تقاتل؟! والعلم خير ، ولكن ما الفائدة من تسوييد مئات بل ألف الصفحات حول مشكلة انتهت ومضى عهدها ، وليس لها وجود في واقعنا اليوم ، وما الفائدة من تأليف عشرات الكتب في موضوع واحد دون إضافة جديدة ، أو إبداع يستحق القراءة ، بل يتهالك بعضهم على التأليف ، وتتأثّرهم شهوة الكتابة عندما يرى مؤلفاً ناجحاً فينسج على منواله تقليداً بحتاً، يلفقه من هنا وهناك دون عناء أو تعب ، ورغم أن كمية المقروء في العالم الإسلامي (٦٣) كيلوغرام مقابل سبعين كيلوغرام للفرد في الغرب ، وكمية المطبوعات (٢٩) عنواناً لكل مليون من السكان في العالم العربي مقابل (٤٨٨) عنواناً في العالم الذي يسمونه متقدماً ، كما جاء في إحصائيات اليونسكو ، رغم هذا الكم القليل فإن المشكلة في مضمون هذا القليل وضحته ، فالامية الثقافية ضارة أطنابها ، وطرق التعليم ووسائل التنفيذ لم تؤهل الفرد ليبدأ طريق العلم الصحيح ، وقد وصلتني أخيراً رسالة من صديق يشكو هذا الكم من الكتب التي عناؤها قليل ويذكر أمثلة على ذلك»الأحوال المطلوبة في رؤية المخطوبة» و»فصل الخطاب في رؤية الخطاب»... الخ.

لم يُؤلف شيخ الإسلام ابن تيمية تفسيرًا كاملاً للقرآن ، لأنه لا يريد أن يكرر شيئاً قد كتب عنه ، مع أن التفسير كان أحب علم لديه كما يذكر هو عن نفسه ، ولذلك علق واستدرك على تفسير بعض الآيات وال سور التي رأى أنها بحاجة إلى زيادة بيان ، إن العلم خير ، ولكن كثرة التعريفات والاختلافات وكثرة الردود والمهابشات العلمية ، مما يربك أذهان الناس و يجعلهم في حيرة من أمرهم ، وبخاصة ذلك الناشئ المقابل على الله ، والم مقابل على الدعوة ، ولهذا كتب ابن الجوزي (تلبيس إبليس) حتى لا يُخدع طلبة العلم ، وتصيبهم آفات الطلب والتاليف.

**الهوامش:**

(١) مسلم ، كتاب الزكاة ، ج ٢ ، ص ٤١٩ ، طبعة دار الكتب العلمية.

### **دراسات تاريخية**

#### **منهج التفسير التاريخي**

#### **قواعد منهاجية في تفسير الحوادث والحكم عليها**

**(٣)**

**د. محمد أمزرون**

تناول الأخ الكاتب في الحلقتين السابقتين بالعرض لقواعد الثمان المنهجية في تفسير الحوادث والحكم عليها ، وتتلخص فيما يلي :

- ١ - اعتماد المصادر الشرعية وتقديمها على كل مصدر فيما نصت عليه من أخبار وضوابط وأحكام.
- ٢ - الفهم الصحيح للإيمان ودوره في تفسير الأحداث.
- ٣ - أثر العقيدة في دوافع السلوك لدى المسلمين.
- ٤ - ذكر العوامل المؤثرة في حركة التاريخ.
- ٥ - العلم بمقادير الناس وأحوالهم ومنازلهم ، والثبت فيما يقال عنهم.
- ٦ - الكلام في الناس يجب أن يكون بعلم وعدل وإنصاف.
- ٧ - العبرة بكثرة الفضائل.
- إحالة الحوادث على الخطأ في الاجتهاد.
- ويواصل الحديث عن بقية القواعد في هذه الحلقة الأخيرة.
- **بيان** -

#### **القاعدة التاسعة: الطريقة المثلثي في معالجة القضايا والأخطاء:**

يلزم دارس التاريخ أن يدرس الظروف التي وقعت فيها أحداثه ، والحالة النفسية والاجتماعية والاقتصادية التي اكتفت تلك الأحداث ، والأسباب التي دفعت إلى ارتكاب الخطأ قبل أن يحكم عليه ، حتى يكون حكمه أقرب إلى الصواب .. ونكتفي هنا بمثال واحد لبيان الطريقة المثلثية في معالجة القضايا والأخطاء ، ألا وهو موقف النبي صلى الله عليه وسلم من صنيع حاطب بن أبي بلتعة حين أرسل كتاباً مع امرأة من المشركين ليخبرهم بمسير الرسول صلى الله عليه وسلم إلى مكة ، ومن هذه الحادثة نستطيع أن نحدد ثلاثة مراحل لمعالجة العادلة للخطأ أو الحادث :

\***المرحلة الأولى:** مرحلة التثبت من وقوع الخطأ أو وقوع الحادث ، وفي هذا الحادث تم التثبت عن طريق أوثق المصادر ألا وهو الوحي.

\*المرحلة الثانية: مرحلة التثبت وتبين الأسباب التي دفعت إلى ارتكاب الخطأ ، وهذا الأمر متمثل في قوله صلى الله عليه وسلم لحاطب: «ما حملك على ما صنعت؟»(١) ، وهذه المرحلة مهمة ؛ لأنه إذا تبين بعد طرح هذا السؤال أن هناك عذرًا شرعاً في ارتكاب الخطأ تنتهي القضية عند هذا الحد ، وإذا لم يكن العذر مقنعاً من الناحية الشرعية فإنه يصار إلى:

\*المرحلة الثالثة: وفيها يتم جمع الحسنات والأعمال الخيرة لمرتكب الخطأ وحشدها إلى جانب خطئه ، فقد ينغمي هذا الخطأ أو هذه السيئة في بحر حسناته ، وهذا الذي سلكه النبي صلى الله عليه وسلم مع حاطب حيث قال لعمر عندما استاذن في قتل حاطب: «أليس من أهل بدر؟» ، ثم قال: «لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة أو غفرت لكم»(٢).

### القاعدة العاشرة: الاستعانة بعلم الجرح والتعديل للترجح بين الروايات المتعارضة وبناء الصورة التاريخية الصحيحة:

ينبغي الاستعانة بمنهج المحدثين في نقد أسانيد الروايات ، فهو الوسيلة للترجح بين الروايات المتعارضة ، كما أنه خير معين في رفض بعض المتنون المضطربة أو الشاذة عن الإطار العام لتاريخ صدر الإسلام.

وعلى هذا الأساس يتم اعتماد الروايات الصحيحة ثم الحسنة لبناء الصور التاريخية لأحداث المجتمع الإسلامي في عصر صدر الإسلام ، وعند التعارض يقدم الأقوى دائمًا ، أما الروايات الضعيفة التي لا تقوى فييمكن الإفادة منها في إكمال الفراغ الذي لا تسده الروايات الصحيحة والحسنة ، على شرط أن تتماشى مع روح المجتمع الإسلامي ولا تناقض جانباً عقدياً أو شرعاً ، لأن القاعدة: «التشدد فيما يتعلق بالعقيدة والشريعة».

ومن ناحية ثانية ، إذا كان أهل الحديث يتراهلون في الرواية عن الضعفاء إن كانت روایتهم تؤيد أحاديث صحيحة موثقة ، فلابأس إذن من الأخذ بهذا الجانب في التاريخ وجعله معياراً ومقاييساً إلى تحري الحقائق التاريخية ومعرفتها ، ومن هذا المنطلق تتخذ الأخبار الصحيحة قاعدة يقاس عليها ما ورد عند الإخباريين مثل سيف بن عمر الضبي والواقدي وأبي مخنف وغيرهم.. مما اتفق معها مما أورده هؤلاء تلقيناها بالقبول، وما خالفها تركناه ونبذناه.

### القاعدة الحادية عشر: الرجوع إلى كتب السنة كمصدر مهم للأخبار صدر الإسلام:

وكذلك من المفيد جداً في كتابة التاريخ الإسلامي الرجوع إلى كتب السنة إذ هي مصدر موثوق وراجح للأخبار الصدر الأول ، لوجود روايات تاريخية كثيرة فيها على درجة عالية من الصحة، ونظراً لأن كتب الحديث خدمت أكثر من كتب التاريخ من قبل النقاد ، فمثلاً قد تميز صحيح البخاري ومسلم وعرف أن كل ما فيهما صحيح بعد الدراسات النقدية التي قام بها كبار الحفاظ القدامي والدارسون المعاصرون.

وتتضاعف كمية هذه الأخبار الموثوقة بالرجوع إلى كتب السنن والمسانيد والمصنفات ومعاجم الصحابة ، وكتب الفضائل والطبقات ، والتواريخ التي صنفها المحدثون ، وكتابات العلماء الذين كانت لهم عناية بشرح كتب الحديث وذلك أن ثقافتهم الحديثية الممحضة واقتباساتهم من كتب التاريخ المفقودة التي دونها المحدثون الأولون ، جعلت شروحهم غنية بنصوص تاريخية، فعلى سبيل المثال يعتبر كتاب «فتح الباري»، شرح صحيح البخاري «للحافظ ابن حجر مثلاً واضحاً لهذه الكتب وهؤلاء العلماء ، إذ يشمل من الفوائد التاريخية كمية لا يستهان بها.

### القاعدة الثانية عشر: معرفة حدود الأخذ من كتب أصحاب الأهواء والفرق:

من القواعد المهمة أيضاً معرفة الحدود التي تراعي عند الأخذ من كتب أصحاب الأهواء من الفرق الضالة المبتدعة ، إما استجابة لشهوة أو هوى أو بدعوى التأويل المتعسف أو بالوقوع تحت تأثير الزندقة والكفر.

وقد اعنى أهل السنة بضبط مذاهب الفرق وأقوالهم لتعرف أحوالهم وموافقتهم ، ويكون المسلم على بيئته منها فلا يخدع من قبلهم.

ولهذا الغرض أفرد بعضهم ذلك بممؤلفات خاصة مثل أبي الحسن الأشعري في «مقالات الإسلاميين» ، وأبي الحسن المطلي في «التنبيه والرد على أهل البدع» ، وابن حزم في كتابه «الفصل في الملل والأهواء والنحل».

كما أن أصحاب الفرق أنفسهم قاموا بتدوين مذاهبهم ومعتقداتهم وأخبارهم وترجم رجاليهم وعلمائهم ومناظراتهم وردودهم على المخالفين لهم ومنهم من اشتغل بالتاريخ فقام بتدوين الأخبار وفقاً لمعتقده الخاص أو مذهب السياسي ، فأظهر مثالب خصومه وأخفى محسنهـم.

ولأجل هذا لابد للمؤرخ المسلم من التعرف على اتجاهات هؤلاء وعقائدهم ، لأن ذلك يمكنه من التعامل مع النصوص التي أوردوها بما يكون لديه من خافية عن اتجاهاتهم وآرائهم وموافقتهم ، ثم يقارنها بغيرها عند المؤرخين أو العلماء العدول الثقات.

وعلى ضوء المقابلة والمقارنة بين النصوص ينظر إلى تعصب الراوي من عدمه ؛ فمن لاحت عليه أمارات التحزب أو التحيز لنحلة أو طائفة أو مذهب لا يؤخذ منه في هذه الحال ، لأن الخصومة والتعصب حجاب ساتر عن رؤية الحقيقة أما من لا يلحظ عليه التعصب وإن كان من أهل البدع وكان صدوقاً في نفسه معروفاً بالورع والتقوى والضبط ، فتقبل روايته ، فقد أخرج بعض الأئمة لنفر من أهل البدع الذين لا يكذبون ، فهذا الإمام البخاري أخرج في صحيحه لعمran بن حطان الخارجي رغم أنه من كبار الدعاة إلى بدعة الخوارج ، لكنه عرف بالورع والتقوى وأنه لا يكذب. وقد يجد الباحث في ثنايا الأخبار التي يرويها أهل البدع عن أهل طائفتهم ومذهبهم ما يمكن أن يكون حجة عليهم وبثبات الإقرار منهم كحكاياتهم لبعض الأقوال المتضاربة والمعتلة.

### القاعدة الثالثة عشر: معرفة ضوابط الأخذ من كتب غير المسلمين:

إذا كان للتاريخ الإسلامي قواعد وأصول وضوابط شرعية يجب على المؤرخ المسلم أن يتلزم بها ، ويكون بحثه واجتهاده في نطاقها ، فذلك يعني الاحتياط عند الأخذ من كتب غير المسلمين ، خصوصاً وأن الحرية بلا قيود وبلا ضوابط تلقاها العلمانيون في الغرب أو في الشرق وطبقوها على التاريخ الإسلامي بمفاهيمها المحلية عندهم.

هذا مع الفرق الشاسع بين المنهج العلماني والمنهج الإسلامي بسبب الاختلاف في التصورات والمفاهيم والمبادئ إذ المنهج جزء من التصور مما جعل نتائج أبحاثهم ودراساتهم مناقضة للأحكام الإسلامية وواقع المجتمع الإسلامي ؛ لهذا فإن القضايا التي تطرحها كتب غير المسلمين من يهود ونصارى وغيرهم ، التي تعالج التاريخ الإسلامي خصوصاً الصدر الإسلامي الأول ينبغي أن تدرس بعناية وحذر شديدين ، لأنهم لا يصدقون في كثير مما يقولونه عن الإسلام ونظمه ورجاله ، ولا يحل وفق ذلك للمسلم أن يروي عنهم أو يأخذ منهم ، لاسيما وأن من شروط البحث في هذه القضايا عرض الأقوال والأعمال على كتاب الله وسنة رسوله .

على أن غير المسلمين ليس لديهم من الموانع عن الكذب ما لدى المسلمين ، وبالتالي فهم لا يعرفون هذه الموانع ، لأنهم لا يجدونها في مجتمعاتهم وبيئاتهم والإنسان وليد بيئته وذلك لغبطة التيار المادي عليها وما ينتج عنه من تنافس وصراعات دائمة. وحيث انطلقوا من واقعهم هذا للحكم على غيرهم بنفس المنظار ، وقعوا في الخطأ وعمموا الأحكام وشوهوـا التاريخ.

ثم إذا كان علماء الإسلام لا يثبتون الأحكام بما يرويه المسلم ضعيف الضبط ، فكيف يحق لقوم مؤمنين أن يحملوا عن كافر ساقط العدالة! بل ويضمر من الحقد والبغضاء لهذا الدين ما لا يعلمه إلا الله.

### القاعدة الرابعة عشر: مراعاة ظروف العصر الذي وقعت فيه الحادثة:

ينبغي أن نعلم أن بعض تلك الحوادث الواقعه في صدر الإسلام لا يبررها غير ظروفها التي وقعت فيها ، فلا حكم عليها بالعقلية أو الظروف التي نعيش فيها نحن أو بأي ظروف يعيش فيها غير أصحاب تلك الحوادث، لأن الحكم حينئذ لن يستند إلى مبررات موضوعية، وبالتالي تكون نظرة الحكم إلى هذه الواقع لم تستكمل وسائل الحكم الصحيح، فيصدر الحكم غير مطابق للواقع.

ومن الملاحظ أن الخلط بين الواقع المأساوي الذي يعيشه المسلمون في هذا العصر وبين واقع المجتمع الإسلامي في صدر الإسلام ، يرجع إلى الخطأ في الفهم الناتج في الغالب عن الصورة القائمة والمغرضة التي يتلقاها النساء عن تاريخ الإسلام وحضارته بواسطة المناهج المنحرفة والفلسفات الوضعية التي تعمم الأحكام وتشوه بذلك التاريخ.

ولا شك أن مصدر الخطأ في هذه المناهج والفلسفات هو تدخل أصحابها بالتفسيير الخاطئ للحوادث التاريخية وفق مقتضيات وأحوال عصرهم الذي يعيشون فيه ، دون أن يراعوا ظروف العصر الذي وقعت فيه الحادثة وأحوال الناس وتوجهاتهم في ذلك الوقت ، والعقيدة التي تحكمهم ويدينون بها.. أو بعبارة أخرى: إن مصدر الخطأ في منهجهم هو تطبيق واقع العصر الحاضر ومفاهيمه على العصور السابقة ، مع أن لكل عصر مميزاته الواضحة التي تسمى في منهج البحث العلمي«روح العصر».

وبناء على ذلك يمكن القول إن سبب انحراف منهجهم ومن اتبعهم في هذا الطريق هو القياس الفاسد ، إذ أنه من الخطأ لإنسان يعيش في هذا العصر عصر الأثراء والأناقية ، وتقديم المصلحة الشخصية على مصلحة الأمة ، وعدم الاعتزاز بالأخلاق والمثل والمبادئ، أن يقيس هذا العصر على عصر صدر الإسلام ، عصر تقدير المسؤولية ، ومراقبة الله جل وعلا في السر والعلن وبذل المال في سبيل المصلحة العامة للأمة.

فمادمنا في عصر تغلب فيه الصراعات السياسية والاقتصادية والتكتلات الحزبية النفعية، فقد قام هؤلاء بتطبيق هذا الواقع بظلله القاتمة وسلبياته على ذلك العصر الذي كانت العقيدة والبدأ هي المنطلق والأساس لتصرفات الناس فيه ، وسبب ذلك أن الكتابة التاريخية المعاصرة اصطبغت إلا النزد اليسير بالمنهج المادي الغربي الذي هو بطبيعة الحال ابن بيته ، تلك البيئة التي تتمرغ في أحوال المادية ، وتعاني من مرارة الصراع النفعي ، ولا تؤمن بما يسمى بالقيم والمبادئ لكنها تؤمن بما يسمى بالمصالح ، ثم فوق ذلك كله هي غارقة إلى أذنيها في النظرة المتعصبة الحاقدة على الإسلام.

### القاعدة الخامسة عشر استعمال المصطلحات الإسلامية:

تعد قضية المصطلحات من أشد العناصر أثراً وأهمية وخطورة في ثقافة الشعوب لأنه عن طريقها يتم تثبيت المفاهيم والأفكار.

ومصطلح كلمة أو كلمتان ، وقد لا تتعذر ذلك إلا في حالات نادرة لكن هذه الكلمة قادرة على تحويل التفكير من وجهة إلى نقيضها ، بل قادرة على أن تفقد الإنسان التفكير أصلاً.

ولأن المصطلحات بهذا القدر من الأهمية ، فإنه منذ أن تقرر في أوكرار الصهيونية والصلبيّة تدمير الخلافة الإسلامية ، وأعداء الأمة الإسلامية يحرصون على تخريب الفكر الإسلامي ، وتشويه العقل المسلم من باب المصطلحات والمفاهيم.

فقد كان من تأثير الغزو الثقافي الأوروبي لل المسلمين أن شاعت بينهم مصطلحات ومفاهيم غريبة عن عقيدتهم وثقافتهم حتى كانت أن تخفي المصطلحات الإسلامية .. على أن هذا المنزلي يتمثل في عدم وعي الباحثين المعاصررين بأن المصطلحات الحديثة إنما تنبثق من رؤية خاصة للفكر الغربي فهي ذات مضامين ودلالات محلية وتاريخية لا يمكن فصلها عن ذلك الوسط الاجتماعي والظروف التاريخية والثقافية التي لابست نشوء هذا المصطلح أو ذاك ، فالمتقون في العالم الإسلامي كانوا إلى مشارف الخمسينيات لا يدركون أن المصطلح جزء لا يتجزأ من التركيبة أو البنية الحضارية لأي مجتمع وكانوا في حالة الدفاع عن الذات يحاولون أن يوجدو لكل عنوان براً في المدينة الغربية مثيله في الإسلام عن طريق عقد مقارنات شكلية لا تغير بالاً للارتباط الوثيق الذي يوجد بين المصطلحات والعقائد والأفكار المنبثقة من واقع مجتمع معين.

ولنذكر على سبيل المثال مصطلح اليمين واليسار ، فقد نشأ هذا المصطلح خلال الثورة الفرنسية ، وذلك في اجتماع الجمعية التأسيسية المنعقدة بتاريخ الحادي عشر من شهر أيلول (سبتمبر) عام تسع وثمانين وسبعمائة وألف ميلادية ، حيث جلس الأشراف ومؤيدو النظام الملكي على يمين الرئيس وجلس خصومهم أنصار الثورة على يساره ، حتى أصبحت قاعدة تستخدم لتصنيف الفكر السياسي<sup>(٣)</sup>.

ومما لا شك فيه أن هذه الخلفية التاريخية تركت بصماتها على التعريف إلا أنه في عصرنا هذا أصبحت كلمتا اليمين واليسار تعبيرين مطاطيين يختلف مدلولهما حسب الدولة والمراحل التاريخية: فاليسار في دولة ما يعتبر يميناً في دولة أخرى.

ورغم أن تصنيفات اليمين واليسار لعبة صهيونية<sup>(٤)</sup> ، إلا أن بعض الباحثين مع الأسف وظفوها بصورة آلية ، حتى أن بعضهم ألقوا كتاباً يصنفون فيها الصحابة رضي الله عنهم إلى يمين ويسار ، وأن قمة الصراع الطبقي في زعيمهم كانت بين زعيم اليمين معاوية بن أبي سفيان وزعيم اليسار علي بن أبي طالب ، والتاريخ الإسلامي بالنسبة إلى هؤلاء عبارة عن يسار ويمين فالمعزلة يسار والأشاعرة يمين ، والفلسفة العقلانية الطبيعية عند ابن رشد يسار ، والفلسفة الإلحادية الفيوضية عند الفارابي وابن سينا يمين والمالكيّة الذين يقولون بالمصالحة المرسلة يسار ، والفقه الافتراضي عند الحنفية يمين ، والتفسير بالمعنى يسار ، والتفسير بالتأثر يمين<sup>(٥)</sup> ، إلى غير ذلك من التصنيفات الغربية.

إنه يجب الحذر من التقليد الأعمى ، إذ يكمن خطر الذوبان في الفكر الجاهلي الغربي والضياع وسط مصطلحاته الكثيرة التي تفقدنا ذاتيتها المستقلة وينبغي استعمال المصطلحات الإسلامية ، لأنها ذات دلالة واضحة ومحددة ولأنها معايير شرعية لها قيمتها في وزن الأشخاص والأحداث . فالقرآن الكريم قسم الناس إلى: «المؤمن» و«الكافر» و«المنافق» ، وكل من الثلاثة صفات محددة ثابتة ودقيقة لا تقبل التلاعيب فيها.

فما ينبغي أن نحيد عن هذا التقسيم إلى مصطلحات نبتت في أوساط غير إسلامية كوصف الإنسان بأنه يميني أو يساري أو غير ذلك من النعوت غير الشرعية والتي ليست محددة بصورة دقيقة وثابتة ، وكذلك فإن الحكم على الأفعال والمنجزات التاريخية والحضارية ينبغي أن تستخدم فيه المصطلحات الشرعية وهي «الخير» و«الشر» و«الحق» و«الباطل» و«العدل» و«الظلم» ، كما جاءت محددة في القرآن والسنة ، ولا تستخدم معايير الفكر الغربي كالتقدمية والرجعية..<sup>(٦)</sup> وقد تابع الباحثون العرب الغربيين في كل شيء حتى في المصطلحات ذات العلاقة بالتوزيع الجغرافي والتوزيع التاريخي التي لا صلة لها بواقعهم أو تاريخهم ، وفي إطار التوزيع الجغرافي وضع الغربيون مصطلحات الشرق الأدنى والشرق الأوسط والشرق الأقصى ، وهي مصطلحات

يستعملها العرب اليوم بلا بصيرة ؛ وذلك لأن المستعمر الأوروبي اعتبر نفسه في مركز الأرض فأطلق هذا التوزيع بالنسبة لموقعه.

وكذلك التوزيع التاريخي مثل العصور القديمة والعصور الوسطى والعصور الحديثة ، فهذا التوزيع يتميز بمراحل وتقلبات تاريخية عاشتها أوربا مما يجعل لكل فترة من هذه الفترات خصائص ومفاهيم مستقلة تبعاً للتطورات والانقلابات الفكرية والعقائدية التي عاشتها أوربا في كل حقبة من هذه الحقب: فالعصور القديمة تميزت بالوثنيات الإغريقية والرومانية ، ثم جاءت العصور الوسطى فعرفت هيمنة الكنيسة وتسلط البابوية ، بينما كان من سمات العصور الحديثة ظهور النظم العلمانية والدول الحديثة.. أما التاريخ الإسلامي بما فيه تاريخ الأنبياء فهو وحدة واحدة بالنظر إلى المفاهيم والمبادئ السائدة فيه التي لا تتبدل تبعاً لتبدل الزمان والدول والحكام ؛ لأنه تاريخ أمم ذات عقيدة واحدة ثابتة لا يطرأ عليها التغيير ، ولذلك ليس بلازمأخذ هذا التوزيع الأوروبي ولا متابعتهم عليه ؛ لأنه يفتت تاريخنا ويوجد الحواجز بين عصوره.

وفي الختام لا يسعني إلا أن أدعو الباحثين والمؤرخين المسلمين إلى تقديم دراسات مفصلة تكشف عن حقائق التاريخ الإسلامي، وصياغة منهج نقدی تعامل وفقه الروايات التاريخية، والمساهمة في تصحيح الأفكار والمفاهيم والعودة بالنشء إلى المنابع الصافية في الكتاب والسنة ؛ لأن تاريخ هذه الأمة بمثابة عرضها وشرفها ، إذ هو القناة التي أوصلت لنا هذا الدين جملة وقصصياً وبقدر ما تتوالى القنوات يتلوث المنقول خلالها.

ومن الواضح أن إبراز المنهج الإسلامي في كتابة التاريخ ، وتدوين قواعده ، وبيان ركيائزه ومنطلقاته، والالتزام به من أهم وسائل التصحيح المنشود في هذا السبيل، وأن هذا الالتزام يعد ضرورة علمية ، ووظيفة شرعية وحاجة إنسانية والإخلال بها إخلال بموازين العلم الصحيحة وبالأحكام الشرعية ، كما يسبب ذلك نقصاً كبيراً في الدراسة وتشويهاً للواقع التاريخية بل يسبب انحرافاً خطيراً في التفسير والفهم والسلوك تجاه الأحداث.

ومن ثم أصبح فرضاً على كل من يستطيع تصحيح تاريخ صدر الإسلام أن يعتبر ذلك من أفضل العبادات ، وأن يبادر له ويجتهد فيه ما استطاع إلى أن يكون أماماً شباب المسلمين مثل صالح من سلفهم يقتدون به ويحددون عهده ويصلحون سيرتهم بصلاح وكمال سيرته.

ولأجل ذلك ، لابد من محاولة إعادة صياغة التاريخ الإسلامي بأفلام إسلامية تؤمن بالله ورسوله، وتحب صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم-، مع إحساس بدور الإسلام في الحياة ، كما تحس بدور القدوة الصالحة للخلافة الراشدة في تاريخنا وحاضرنا ومستقبلنا ، لاسيما وأن تاريخ الخلفاء الراشدين اختص بصفات تميز بها الخلفاء في سلوكهم الذاتي ، وفي إدارتهم لشؤون الأمة ورعايتها وعقيدتها ، وحفظهم على المنهج الذي جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الدعوة والجهاد وإقامة العدل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولذلك صار عصرهم مع عصر النبوة معلماً بارزاً ونموذجاً مكملاً ينبغي أن نسعى إلى محاولة الوصول إليه ، وجعله معلماً من معالم التأسي والقدوة الصالحة للأجيال الإسلامية في هذا العصر.

### الهوامش :

(١) (٢) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح ، كتاب المغازى ، ج ٥ ، ص ١٠ .

(٣) عبد الرحمن الزيد ، مصطلحات سياسية ، ص ١٣٩ ، مجلة السنة ، العدد السادس ، أكتوبر ١٩٩٠م.

(٤) انظر عماد الدين خليل: لعبة اليمين واليسار.

(٥) انظر مثلاً: ماذا يعني اليسار الإسلامي ، لحسن حنفي.

## نصوص شعرية

### الفجر الدامي

### جريمة ومجردة في المسجد الإبراهيمي

د. عدنان علي رضا النحوي

شوقاً إلى خضر الجنان ورددي  
رفت وتسبيحُ الربي والأوهاد  
لُ ما يخبا يا مرابع في غد  
عقبق يجود بعطره المتورّد  
ليقول: يا دنيا أطلي وشهدي

دَوْيَ الأذان! فِيَّا مَنَابِرُ أَوْبَيِ  
وَكَانَ شَقْشَقَةُ الطَّيُورِ نَدَاوَةُ  
وَكَانَ وَسْوَسَةُ الزَّهُورِ تَظَلَّتْ تَسَا  
وَتَنَفَّسَ الْوَرْدُ الغَنِيُّ كَانَهُ  
يُلْقَى عَلَى السَّاحَاتِ مِنْ دَمَهُ دَمًا

\*\*\*

بَيْنَ الدِّيَارِ مُنْيٍ وَطَلْعَةُ شَهَدٍ  
مُسْتَبْشِرِينَ بِجَوْلَةٍ أَوْ مَوْعِدٍ  
وَالْجَمْعَةُ الزَّهْرَاءُ لَهْفَةُ أَرْشَدٍ  
سَاحَاتِهَا فَيِضًاً غَنِيًّا المُورَدُ  
يَا لِلْفَضَائِلِ! كُلُّهَا قَدْ جَمَعَتْ لِلصَّائِمِينَ الْقَائِمِينَ السَّهَدَ

وَتَنَفَّسَ الصَّبَحُ التَّدِيِّ وَحَوْمَتْ  
يَسْعَونَ لِلْبَيْتِ الْمُنَوْرِ بِالْهُدَىِ  
نَعَمَ الْبُكُورُ، وَتَلَكَ عَزْمَةُ مُؤْمِنٍ  
وَالنُّورُ مِنْ رَمَضَانَ مُنْبَلِحٌ عَلَىِ  
يَا لِلْفَضَائِلِ! كُلُّهَا قَدْ جَمَعَتْ لِلصَّائِمِينَ الْقَائِمِينَ السَّهَدَ

\*\*\*

رُفِعَ الأذان فَاقْبَلُوا وَصُفُوفُهُمْ مَرْصُوصَةٌ وَقُلُوبُهُمْ شَوْقُ الغَدِ  
الله أكبر! فَانْحَازُوا الرُّكُوعُهُمْ وَالله يَسْمَعُ حَفْقَةَ الْمُتَوَجِّدِ  
رَفَعوا وأهْوَوا لِلسُّجُودِ فَلَا تَرَى إِلَّا خُشُوعُ الْعَابِدِينَ السَّجَدِ  
دُوِي الرِّصَاصِ! وَخَلَفَ كُلُّ رِصَاصَةٍ  
دُوِي الرِّصَاصِ! فَكُمْ شَهِيدٌ فَجَرَتْ  
تَتَطَاهِرُ الْأَشْلَاءُ! كُلُّ ضَحِيَّةٍ تَشَكُّو لِبَارِئَهَا هَوَانَ الْهُجَّادِ  
وَتَلَاقَتِ الْأَشْلَاءُ عَبْرَ فَضَائِهَا مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ ثُبَاحُ لِمَعْتَدِيِ  
مِنْ أَرْضِ»كَشْمِيرِ» نَدَاءُ دَمَائِهَا مِنْ أَرْضِ بُوْسِنَةَ صَرَخَةُ لَمْ تَتَّجِدْ  
مِنْ كُلِّ مَجَرَّةٍ بِقَايَا أَمْمَةَ تُلْقَى وَتُنَثَرُ فِي الْفَضَاءِ الْأَرْبَدِ  
أَضْحَتْ دَمَاءَ الْمُسْلِمِينَ مُبَاحَةً لِلْمُجْرِمِينَ! لَكُلِّ عَاتِ مُفْسَدٍ  
وَدِيَارُنَا أَضْحَتْ مُفَتَّحَةً لَهُمْ وَقُلُوبُنَا فَتَحَتْ لِفَتَّةَ مُلْحَدٍ

\*\*\*

فَتَنْ لَهُمْ وَيَدُ! فَيَا شَرِّ الْيَدِ!  
دُولَّا فَمَاجُوا بِالْبَلَاءِ الْمُرِعِدِ  
الْأَمْرِيَكَانُ وَلَا طَبَائِعُ مُعْتَدِيِ  
شَرَكَانِيَّا يُمَدِّ لِحَائِرِ مُتَرَدِّدِ  
دُنْيَا حُقُوقُ مُقْتَلِ وَمُطَرَّدِ!  
جِيَ العَدْلِ مِنْ ذَئْبٍ يَجُولُ وَأَسْوَدَ(١)؟!

يَا لِلْيَهُودِ! وَخَلَفَ كُلُّ مُصِيبَةٍ  
جَمَعُوا مِنَ الْأَحْلَافِ بَيْنَ حَبَالِهِمْ  
لَا! لَا يُرِيدُونَ السَّلَامَ وَلَا يُرِيدُونَ  
جَعَلُوا السَّلَامَ خَدِيعَةً نَصَبُوا بِهَا  
أَيْنَ النَّظَامُ الْعَالَمِيُّ وَأَيْنَ يَا  
أَيْنَ الْعَدْلَةُ وَالْوَعْدُ وَكَيْفَ يُرِ

أَمْوَاجَ لَيْلٍ زَاحِفَ مُتَمَدِّدٌ  
بِنَيَانَ مَشْدُودًا بَعْهَدِ أَكَدَ  
شَوْقَ الشَّهَادَةِ دُونَ ذَلِكَ وَانْهَدَى  
وَشَهَادَةُ لِلَّهِ! قُومِي فَاسْهَدَى  
صَدَقَ إِلَهٌ وَقَالَ: يَا نَفْسِي رَدِي

يَا أَمْتَى إِنْ لَمْ تُفِيقِي فَاسْهَدِي  
لُمِي صُفُوفَكَ، أَمَةُ الإِسْلَامُ، كَالْ  
خُوضِي مَيَادِينُ الْجَهَادِ وَرَجْعِي  
يَا أَمَةُ الإِسْلَامِ تِلْكَ أَمَانَةُ  
لَا! لَنْ يُقْيِمَ الْعَدْلُ إِلَّا مُؤْمِنٌ

\*\*\*

دارَ الْخَلِيلَ تَحِيَّةً مِنْ مُهَجَّةٍ عَرَفَتْ جَلَالَ جَهَادِكَ الْمُتَوَقَّدَ  
بِالْبَذْلِ زَاهِيَّةً بِجُودِكَ وَالْيَدِ  
وَرَوَيْتَهَا بِالْطَّهْرِ مِنْ دَمِكَ النَّدِيِّ (٢)  
زُمَرٌ تَوَاثِبُ لِلشَّهَادَةِ فَاسْعَدَ  
لِلَّهِ زَاحِفَةً وَطَلْعَةً رُوَدَّ  
بُشِّرَى إِلَيْكَ وَآيَةً لِلْمُهَنْدِيِّ  
صَفْوَاً وَعَهْدًا لَمْ يَزَلْ أَمَلُ الْغَدِ  
لِجُولَةٍ تُوفِيَ بِصَدْقِ الْمُوْعَدِ

قدْ كُنْتَ بِالْأَمْسِ الْقَرِيبِ غَنِيًّا  
طَهَّرْتَ أَرْضَكَ مِنْ تَدْفُقِ رَجْسِهِمْ  
وَالْيَوْمَ أَعْلَيْتَ الْوَفَاءَ فِيهِ  
وَغَدَّاً تَرَيَنَ مَوَاكِبًا مَوْصُولَةً  
وَالنَّصْرُ كَالْفَجْرِ الْمَنْتُورُ مُقْبَلٌ  
مِيلِيًّا إِلَى الْأَقْصَى! حَنِّيَّكَ لَمْ يَزَلْ  
مِيلِيًّا هُنَاكَ وَجَدَّيِّي عَهْدًا أَبْرَ

\*\*\*

### الهوامش :

(١) الأسود: الحياة العظيمة.

(٢) إشارة إلى ثورة سنة ١٩٢٩م حين ظهر أهل الخليل مدينة الخليل من اليهود وأعدم الإنجليز على إثر ذلك «عطوا الزير محمد جمجمون» من الخليل و«فؤاد حجازي» من مدينة صَفَدَ ، وقد نفذ الإعدام يوم الثلاثاء ١٧/٦/١٩٣٠م ابتداءً من الساعة الثامنة صباحاً، وكانوا يقدمون في كل ساعة واحداً منهم للإعدام ، رحمهم الله.

## المسلمون والعالم البوسنة على مفترق طرق

د. أحمد بن راشد بن سعيد

منذ بدء المأساة البوسنية اجتهد الغرب في أن يفك الحلف بين المسلمين والكروات، الحلف الذي اعتبره الغرب غير طبيعي، لأنه موجه ضد الصرب الذين يلتقطون مع الكروات في عبادة المسيح! ، وكانت الخطة الإنجليزية الخبيثة «بتطعيم» الكروات في أراضي المسلمين عبر خطة (فانس ، أوين) هي إحدى الوسائل التي انتهجهما الغرب لفك هذا الحلف، وقد انقض الكروات بعد هذه الخطة يحاصرن موستار وترافنيك وغيرهما من المدن الأهلية بال المسلمين؛ لأن الخطة المجنحة أعطتها الكروات.. وبعد برهة أعلن الغرب أن الخطة فشلت وأن (الملاذات الآمنة) هي الحل الوحيد الذي بقي للمسلمين في البوسنة!

ثم كرت الشهور ، وقاتل المسلمون ببسالة الخونة الكروات والمعتدين الصرب ، بل قاموا بعمليات هجومية ناجحة ضدهم ، ودحروا الكروات وخاصة في عدة مواقع ، وأنزلوا بهم هزائم فادحة، وتدخل جيش كرواتيا النظامي في محاولة يائسة لوقف التقدم الإسلامي، فلم يفلح.

وكان الموقف الغربي إزاء هذه الأحداث المصيرية في حياة المسلمين موقف المراقب المتوتر الأعصاب ، فتارة يشجب الاعتداء الصربي ، وتارة يستكر تدخل كرواتيا ، ويلوح بالعقوبات ضدها ، وبين هذين الموقفين يدعى إلى عقد مفاوضات سلام فارغة لتقنين الظلم وتكريس العدوان. بيد أن المسلمين خيبوا آمال المعتدين وخلفاءهم الغربيين، وسيسجل التاريخ أن أهل البوسنة المسلمين صدوا صمود الأبطال في معركتهم الشريفة ضد القوى الظالمة ومن وراءها الحضارة الغربية المختلفة ، وأنهم قاتلوا بعدة زهيدة صنعواها بأيديهم جيوشاً مدجحة بالسلاح، وأنهم نجحوا سياسياً وعسكرياً في إفشال مؤامرة الإجهاز على الإسلام في قلب أوروبا.

أقول: ظلل الغرب يرقب الأحداث وقد أذهله صمود المسلمين وتقدمهم إلى أن حدثت مذبحة السوق في سراييفو يوم الخامس من شباط (فبراير) الماضي فعمقت الشعور بالحرج لدى العالم الغربي ، وأكدت الحاجة إلى عمل ما لوقف المأساة التي لم يستطع الصرب والكروات حسمها ، وقد لخص هذا الشعور الذي كان سائداً لفترة طويلة قبل مذبحة السوق قول «مارتن دولاكوت» في صحيفة «الجارديان» أن «رفض الضحايا المسلمين لقبول الهزيمة والموت قد حطمأسوا الخطط الغربية»<sup>(١)</sup>.

### استراتيجية جديدة:

بعد المذبحة سلكت السياسة الغربية محورين جديدين هما: محاولة احتواء المقاومة البوسنية المتتسعة، والسعى لإقامة فيدرالية بين المسلمين والكروات ، وقد ساهم في إحداث هذا التغير عوامل مهمة ظهرت على الأرض أبرزها تنامي القوة العسكرية البوسنية ، وقد نشر «بول بيفر» مؤلف كتاب (تقييم الأمان الإقليمي للبلقان) مقالاً في صحيفة «ال ولو ستريت جورنال» الأمريكية بعنوان (ما وراء القوة الجديدة للجيش البوسني) ذكر فيه أن هذا الجيش يتلقى الآن إمدادات عسكرية وأسلحة حديثة، وأن جنوداً مدربين من خارج المنطقة قد انضموا إليه ، وأضاف «بيفر» أن الجيش يتكون من (٨٠,٠٠٠) مقاتل، وينقسم إلى ستة فيالق (كل فيلق ١٠,٠٠٠)، ولواءين (كل لواء ٢٠,٠٠٠) ، جنود اللواءين هم الذين يقاتلون بضراوة ويحققون انتصارات حاسمة ، أحد اللواءين كما يقول «بيفر» يتالف من (إسلاميين أصوليين متطرفين) ، والآخر يتالف من لاجئي منطقة «كرييينا» التي احتلها الصرب في كرواتيا<sup>(٢)</sup>.

ويحصل الجيش على أسلحته من مصانع السلاح التي أعاد تشغيلها في وسط البوسنة ، وقد بدأ بإنتاج مدافع من عيار (١٠٥ ملم) في مدينة «زينكا»<sup>(٣)</sup>، كما يحصل على السلاح من غائم المعارك سيمما مع الكروات وتصل إليه أسلحة من تركيا<sup>(٤)</sup>، ويدرك «مارتن دولاكوت» كاتب صحيفة «الجارديان» أن البلاد الإسلامية تزود البوسنة بالسلاح بشكل غير مباشر حيث تقوم بتحمل أعباء مالية معينة للحكومة البوسنية ، فتقوم هذه الحكومة بتوجيه كل مواردها للمقاومة<sup>(٥)</sup>.

ومن العوامل المهمة التي أحدثت تغييراً في السياسة الغربية تجاه البوسنة فشل الكروات في تحقيق نصر على المسلمين ، بل إن النصر كان بفضل الله حليف المسلمين في معظم المعارك التي نشببت بينهم وبين الكروات، كما إن الصرب فشلوا في اقتحام «سراييفو وتوزلا وجوراجدة وبيهاتش وماجلاي ...» ويقول «مارتن دولاكوت» أن الذي تغير في البوسنة هو أن المسلمين رفضوا أن يؤدوا دور (الضحية) الذي خصصه الغرب لهم ، واختاروا المقاومة ولذا فإن «الاستراتيجية الغربية أفلست وانهارت»<sup>(٦)</sup> (تأمل!).

ويبقى العامل الأخير والأهم لتغيير الاستراتيجية الغربية في البوسنة هو الخوف القديم الجديد من ظهور دولة إسلامية خالصة وقوية في أوروبا تقض مضاجع الكفر وأهله ، ولذلك اعتمد الغرب

كما أسلفت محاولة احتواء المقاومة الإسلامية والسعى لإنشاء اتحاد فيدرالي في البوسنة بين المسلمين والكروات يرتبط لاحقاً باتحاد كونفدرالي مع كرواتيا.

### احتواء المقاومة:

وكان الخطوة الأولى التي قام بها الغرب في استراتيجيته الجديدة هي توجيه إنذار بعيد مذبحة السوق بشأن شن غارات جوية على موقع الأسلحة الثقيلة في «سراييفو»، ولم يكن الهدف من هذا الإنذار ردع العدوان الصربي والكرواتي، فقد تحدث فقط عن سراييفو، وأغفل معاناة المسلمين في الأماكن الأخرى مثل «توزلا وماجلاي وبيهاتش» ، ولم يطلب الإنذار إنهاء حصار «سراييفو»، ونص فقط على سحب المدفعية الصربية مسافة (٢٠ كم)، مع أن الصرب يملكون مدفع يتجاوز مداها هذا الرقم ، كما أنهم يملكون أسلحة أخرى فتاكة كالرشاشات والمدافع الخفيفة وبنادق القنص، وطالب الإنذار الجميع بتسليم أسلحتهم الثقيلة مما يؤكد استمرار الغرب في معاقبة الضحية ومكافأة وإرضاء المعتمدي.

وقد اتضحت ملامح مؤامرة جديدة بانتشار بضع مئات من الجنود (الروس) على جبال سراييفو<sup>(٧)</sup> بالرغم من اعتراض الحكومة البوسنية الشرعية على قدومهم بدعوى أن روسيا غير محابية في الصراع ، إلا أن بطرس غالى أكد موافقته على ذلك ، ولم يعر اهتماماً لاحتياج الحكومة ، كما اقترحت فرنسا وضع «سراييفو» تحت إدارة الأمم المتحدة غير عابئة بسيادة حكومة البوسنة وقد سارع (البطرس) إلى إبداء موافقته على الاقتراح حتى قبل مناقشته من قبل الاتحاد الأوروبي ومجلس الأمن<sup>(٨)</sup> ، ويتساءل «أنتوني لويس» كاتب «النيويورك تايمز» قائلاً: «هل وقف البوسنيون أمام اعتداءات الإبادة خلال العامين الماضيين ليحكمهم في النهاية» بطرس بطرس غالى «وبير وقراطيته الحمقاء؟!»<sup>(٩)</sup>.

ولقد صمم الإنذار ليخدم مصالح الصرب ، فالمسلمون لابد أن يسلموا أسلحتهم الثقيلة حيث لا يوجد مكان ينسحبون إليه، والصرب سلموا مئة مدفع قديمة من بقايا الحرب العالمية الثانية وسحبوا (٤٠٠) استعملوا بعضها مؤخراً في قصف» بيهاتش وماجلاي« ، وقد صرح مسؤول بوسني بأن القضية كلها «خدعة» قائلاً: «الأمم المتحدة موجودة هنا لتساعد الصرب، وبينما يتركز الاهتمام على سراييفو يحاول الصرب أخذ بيهاتش، إنهم يحاولون وصل كينين ببابانيالوكا»<sup>(١٠)</sup>

إن فكرة وضع سراييفو تحت إدارة» بطرس غالى« ليست أصلاً فكرة فرنسا بل هي فكرة الصرب ، وقد صرح» يوفان زاميتشا« أحد مستشاري المجرم» رادوفان كاراجيتش« أن» سحب الصرب أسلحتهم أو وضعها تحت إشراف الأمم المتحدة لم يكن نتيجة للإنذار ، إن وضع سراييفو تحت الإدارة الدولية كان مبادرة صربية طرحت قبل مذبحة السوق بوقت طويل، اهدموا سراييفو وجعلوها نموذجاً صالحًا لبقية البلاد ، هذه كانت فكرتنا»<sup>(١١)</sup>.

في الحقيقة إن إبعاد المدفعية الصربية (٢٠ كم) وانتشار الروس على الجبال يعني استمرار حصار سراييفو ، ولكن على بعد (٢٠ كم) بدل (٥ كم) كما كان الحال سابقاً ، إنه يعني تجميد الحصار وتقويته رسمياً من قبل الأمم المتحدة ، كما يمثل مدخلاً لتقسيم المدينة.

وإذا تم نقل هذا النموذج إلى المدن المسلمة الأخرى المحاصرة كما دعا إلى ذلك بعض السياسيين والصحفيين الغربيين ، فإنها دعوة لاحتواء المقاومة البوسنية ، وتكرير المكاسب الصربية ، وتقسيم البلاد أو دعوة لخنق الشعب المسلم في البوسنة «بخيط أزرق رفيع» وجعله فقط» سعيداً بقوانين الطحين»<sup>(١٢)</sup>.

### الاتحاد الفيدرالي:

لقد أدرك الغرب أخيراً أنه لا مفر من قيام كيان إسلامي في البوسنة ، كما أدرك أن المسلمين لن يتخلوا عن خيار القتال حتى تتوفر لكيانهم المنتظر أسباب البقاء والحياة ، ويرى بعض المحللين مثل» سعيد عكاشه «أن أوروبا ليست على استعداد لتحويل مسلمي البوسنة إلى مهاجرين في شتات أوروبي يتحقق توحيد في غضون سنوات ، كما يذكر أن بعض مفكري أوروبا يرون أن تشتت مسلمي البوسنة »سيصبح دعماً لروح التمرد على الحضارة الغربية التي يقودها مهاجرو العالم الثالث في الغرب في الآونة الأخيرة « ، ولذلك يخلص» عكاشه «إلى القول: إن الخوف الأوروبي من القضاء على الكيان الإسلامي له ما يسوغه (١٣) .

غير أن واقع الأمر يشير إلى أن الغرب لم يفكر بهذا الذكاء منذ البداية بل دفعه الحقد الصليبي إلى محاولة إبادة الشعب البوسني وتذويبه ، وهو الآن يبدو مرغماً على الاعتراف بوجود سياسي حقيقي للMuslimين في البوسنة، بعد أن فشلت محاولة الإبادة وصمد الشعب البوسني في ميادين القتال ، وعاد بعض أبنائه إلى (الأصولية) كما يقولون ، ولم يبق أمام الغرب بعد فشل التحالف الكرواتي الصربي ضد المسلمين إلا السعي لإقامة اتحاد فيدرالي بين الكروات والمسلمين يتحد بعد ذلك كونفدراليًا مع كرواتيا ، ويهدف الغرب من ذلك إلى عدم قيام كيان إسلامي خالص ، بل مقيد داخلياً بالفيدرالية وخارجياً بالكونفدرالية، وقد أشار» فرانسيو توجمان «رئيس كرواتيا إلى أن أمريكا وفرنسا وبريطانيا وألمانيا» بذلوا جهوداً مهمة في سبيل التوصل «إلى هذا الاتفاق وصرح أن السبب في ذلك هو أن» هذه الدول تريد أن يتوجه المسلمون نحو النمو والتطور حسب الحضارة الأوروبية بعيداً عن الأفكار الإسلامية الأصولية «(٤) ، وهذا الكلام يدل على عدم وجود خلافات جوهيرية بين الدول الغربية فيما يتعلق بمسألة البوسنة ، فالكل متتفقون على مكافأة العدوان الصربي وعلى عدم قيام دولة إسلامية.

وقد ضغطت الولايات المتحدة على الحكومة البوسنية لتقبل بهذا الاتفاق ووعتها بما وعدت به كرواتيا من مساعدات اقتصادية وامتيازات دبلوماسية وانضمام إلى برنامج الشراكة من أجل السلام ، كما حذرتها من أنها إذا رفضت توقيع الاتفاق فإن أمريكا «لن تتدخل لإيقاف تدمير ما تبقى من البوسنة». من جهة أخرى اقتنع الكروات بأن سياسة (كراتشيا الكبرى) جلبت فشلاً ذريعاً وهزيمة ساحقة وكارثة (علاقات عامة) في الخارج، كما جاء التلويح بالعقوبات والوعد بالمساعدات ليحمل كرواتيا على القبول بالاتفاق، وربما يرى الكروات فيه مصلحة مرحلية لهم فيؤجلون مشروع (كراتشيا الكبرى) إلى حين وتساءل مجلة «الإيكولوجيا»: هل يدعهم الأمريكان يفعلون ذلك ويتخلون عن وعودهم؟ (٥)

تجدر الإشارة إلى أنه حتى كتابة هذه السطور لم يتفق الطرفان المسلم وال Kroati على بعض النقاط الأساسية كالدستور وتقسيم الأراضي وموعد تطبيق الكونفدرالية ، على أية حال يبقى المشروع غير عادل في حق المسلمين الذين كانوا يشكلون (٤٪) من مجموع سكان البوسنة والهرسك قبل الحرب وربما كان قبول الحكومة البوسنية به كخيار تكتيكي يحقن دماء المسلمين وبهيئة قاعدة لحلول مستقبلية أفضل ، ولنا أمل في وعي مسلمي البوسنة الذي أفشل كثيراً من المؤامرات السابقة ، وقبل ذلك نحن موقنون بوعد الله بالنصر لدينه والتمكين لعباده: ((إنهم يكيدون كيداً ، وأكيد كيداً ، فمهل الكافرين أملهم رويداً))

[الطارق: ١٥-١٧].

### الهوامش:

(١) (الغارديان)، ٢١ يناير ١٩٩٤.

- (٢) (الوول ستريت جورنال)، ٢٧ يناير ١٩٩٤ ، تتمثل القدرة التعبوية لجمهورية البوسنة في مئتي ألف عنصر مدرب ، إلا أن القوة الضاربة المسلحة لا تتجاوز ثمانين ألفاً.
- (٣) (القبس)، ٢٧ يناير ١٩٩٤ .
- (٤) (الوول ستريت جورنال)، ٢٧ يناير ١٩٩٤ ، صرّح نائب القائد العام لأركان جيش البوسنة «بوفان ديفياك» لصحيفة» الحياة« أن مصانع إنتاج السلاح في وسط البوسنة تمد الجيش بثلاثين في المائة من احتياجاته ، وتمثل الغنائم الحربية مصدرًا ثانياً للتسلیح ، بينما لمح إلى وجود قنوات سرية لوصول السلاح (الحياة، ٢٧ جمادى الآخرة ١٤١٤هـ).
- (٥) (الغارديان)، ٢١ يناير ١٩٩٤ .
- (٦) المصدر السابق.
- (٧) ذكرت صحيفة» الأوبزرفر« البريطانية أن أكثر الجنود الروس الذين انتشروا على جبال سراييفو قد قاتلوا المجاهدين في أفغانستان ، كما ذكرت أن صحيفة» البرافدا« الروسية الرسمية نشرت صورة محارب مسلم كتب تحتها» البوسنة: دم يسفك ، الجنود الروس سيقون ضد المسلمين المتعصبين المتوحشين «الأوبزرفر، ٢٠ فبراير ١٩٩٤).
- (٨) من المواقف الأخيرة الشاهدة على كون» بطرس غالى «أحد مجرمي الحرب في البوسنة اتهمه مؤخرًا المسلمين باستغلال المناطق الآمنة كستار لشن هجمات على المواقع الصربية ، وذكر» غالى «في تقرير قدمه لمجلس الأمن أن جيش المسلمين استخدم مدن» زبيبا وسربرنثشا وجوراجدة» كموقع لتوفير الراحة وإعادة التدريب والتسلیح ، وأوصى بعدم إعلان أي منطقة آمنة أخرى حتى تتم تصفية هذه المشاكل في المناطق الآمنة الحالية (الأنباء، ١٦ مارس ١٩٩٤).
- (٩) (إنترناشونال هيرالد تريبيون)، ١٢ ، ١٣ فبراير ١٩٩٤ .
- (١٠) الأوبزرفر، ٢٠ فبراير ١٩٩٤ .
- (١١) (نيوزويك)، ٢١ مارس ١٩٩٤ .
- (١٢) الأوبزرفر، ٢٠ فبراير ١٩٩٤ .
- (١٣) (الوفد، ١٩ شعبان ١٤١٤هـ).
- (١٤) (الحياة، ١٧ رمضان ١٤١٤هـ).
- (١٥) (إيكونومست)، ٥ مارس ١٩٩٤ .

\*تم التوقيع الأولي بين الطرفين، لكن النقاط الأساسية كالدستور وتقسيم الأراضي لم تحسم بعد.

-بيان-

## المسلمون والعالم مجزرة الدم الأرخص... وزعامات الورق!

د. عبد الله عمر سلطان

في غمرة الفرح الطاغي وثناء الانتصار الذي أعمى وأصم ، خرجت يرقان» السلام «الذليل تعلن للدنيا وتملأ الكون هتافاً أن أهلاً (بالعصر الإسرائيلي) وأدواته ، وأن عاش الذئب الصهيوني مدام أزلام القضية قد نجحوا في توقيع اتفاق البيت الأبيض الذي ستم بموجبه عملية جز الرقاب

برعاية (الجزار الأمريكي)»«راعي السلام»... نعم إنه السلام الذي لا حرب بعده أبداً والتعايش الذي لا يعكر صفوه»المتطرفون والأصوليون والمعطشون للدماء» وما هي إلا بُرْهَة خاطفة من عمر الزمن حتى اكتسب»سلام الصغار» صفة القدسية وارتفع بهامته إلى مكانة المُشرع الحكيم ، فإذا فكر فلسطيني مشرد منذ نصف قرن عن موطن قدم له في ظل (كانتون غزة أريحا) صرخ في وجهه غراب الصفة» عدو السلام! وإذا ما تساءل مقدسي محروم القلب محطم الخاطر عن مصير القدس، تصدى له المتحدث الرسمي باسم معسكر السلام «إن هذا التساؤل حق يراد به باطل ، يراد به تعكير جو السلام!» وإذا ما تحدث المصادر الإسرائيلية المسيطرة على تنفيذ الاتفاق وتفسيره على هواها الضال عن تعاون مخابراتي وأمني للاحقة كل من يعكر صفو أمن الصهاينة ونُقل هذا الاتفاق إلى العرب المنكسرین ، لم يجد إنكارية السلام الجدد من حرج في أن يبرروا هذا الاتفاق بأنه «لمصلحة العملية السلمية الجديدة»!

كل الخيانات وفقدان الذمة والحياء وإراقة ماء الوجه وكسر الظهور وهي راكعة لعمل بنى إسرائيل الجديد ، كانت تتم في ضوء النهار بعد أن كانت حبيسة الغرف المغلقة والاتصالات السرية ، لم يعد هناك شك أو تساؤل في أن»سلام الصهاينة» أصبح القاسم المشترك لكل من يريد أن يُطأطئ رأسه ليسير في جادة (النظام العالمي الجديد) المشؤومة ، ولم يعد هناك صوت يعلو فوق صوت»السلام» أو قضية تحديد الولاء والبراء سوى مذهب السلام العاتي ، إذا كنت من المشيدين بالسلام على الطريقة (الرابينية) فأنت واقعي معتدل بعيد النظر ، وإن كنت ممن يبدي حوله أي تحفظ فأنت راديكالي رجعي بشع... إن كنت قد شاركت في»الدبكة العرفاتية» ورقصت فيها طوعاً أو كُرّهاً فأنت إذاً (شرق أوسطي) متفتح وعقلاني غير مؤدلج ، وإن كنت اكتفيت بمشاهدة هذا (الصراع السياسي) فلا بد أنك (أيدلوجي شعاري إسلاموي محظوظ)!!

المرحلة لا تحمل القسمة على اثنين ، المرحلة لا تعرف إلا رقمًا واحداً وعنواناً يتيمًا» السلام « وأنصاره و»التعايش« مع اليهود ومؤيديه ، حتى لو حُشر في هذا الطابور المنافقون والمرتعدون والمنهزمون والشواذ والمتاجرون والرافضون على كل جرح من جراح شعوبهم ، فأمريكا أنها السادة لها وكيل اسمه»إسرائيل« ، وإسرائيل يا رعاعكم الله قد أصبح لها وكلاء محليون ، فالسند متصل لا انقطاع فيه ، من ساند سدنة السلام العرب كان له حبل مودة مع سادة صهيون ، ومن ناصر هؤلاء فله قدم سبق مع السادة الكبار هناك خلف بحر الظلمات الأطلنطي ، ومن هنا تتضح معالم المرحلة ، مرحلة السلام الصهيوني الصليبي الذي أصبح عجلًا يعبد ، ووثناً تحرق بخور الباطل من حوله.

لكن عروقاً تنبض بالحق ، وتتأبى أن تُغَلَّف بالدولار الأخضر ، وقف تحدز من هذا السلام الهريل ، وتلك الهجمة الباغية ، وقف صوت يقول في يوم توقيع الصك المخزي ليرسم لوحة مبصرة في وجه ضجيج وبريق وموسيقى صهيون ومعسكرها الناطق باللغات الثلاث: العبرية والعربية والإنجليزية وقف وهو لا يملك سوى قلماً خط قصيدة تقول

سينبت هذا السلام الدمار  
ويوقد في كل ناحية ألف نار  
حذار.. حذار

فإن يهود تعاهد في الصبح عهداً  
لتنبذه في المساء  
وتبرم ميثاقها في المساء  
لتنقضه في الصباح

وما عرفت مرة بوفاء  
وما عرفت ذات يوم بحسن الجوار  
حذار من الإنهايـار  
بزيف انتشار ، ووهم انتصار (١)

لكن القائد الهرم والمنقش بالوهم والزيف أصر ، وأقسم بأن يمضي إلى نهاية الطريق الموحش ، فأنبت لنا غابة من (هناقة التهريج) ، ومروجي التطبيع الذين خلت لهم الساحة فأطلقوا العنان لأسنتهم الجبانة ، وأقلامهم المأجورة وضمائرهم التي طالما تقلبـت في ولاءاتها في سوق النخاسة ، خلا لهم الجو حيناً ثم فاجأـهم هول أـتي من جهة الأرض المقدسة ، فأخرسـهم دوي الرصاصـ في فجر الخامس عشر من رمضان ليصرخـ دم المصليـنـ في محرابـ (المـسـجـد الإـبرـاهـيـميـ) ، فإذاـ المـأـجـورـونـ عـرـاءـ إـلـاـ مـنـ الخـسـةـ ، وـجـوـعـىـ إـلـاـ مـنـ فـقـاتـ الـمـوـائـدـ ، خـائـفـينـ مـنـ شـعـوبـهـمـ الـتـيـ مـارـسـواـ فـيـ حـقـهـاـ الشـعـوذـةـ السـيـاسـيـةـ وـالـعـقـدـيـةـ.

لقد كان معسـكـ «ـسـلامـ الصـغـارـ»ـ صـغـارـاـ حـقاـ ، أمـامـ حـقـانـقـ رـمـضـانـ وـمـشـاهـدـ السـجـودـ وـالـرـكـعـ الغـارـقـينـ فـيـ دـمـائـهـ ، وـشـمـوخـ الـمـسـاجـدـ الـتـيـ اـنـتـهـكـهاـ حـلـفـاؤـهـمـ الصـهـايـرـ بـحـمـاـيـةـ الرـصـاصـ الـأـمـرـيـكـيـ.ـ ماـذاـ بـقـيـ لـهـمـ أـنـ يـدـافـعـوـاـ عـنـهـ ، هـذـهـ حـلـيفـتـهـمـ أـمـرـيـكـاـ تـبـدوـ الشـرـيكـ الـكـاملـ فـيـ «ـالـإـرـهـابـ الـبـشـعـ»ـ الـذـيـ وـصـلـ ذـرـوـتـهـ فـيـ مـجـزـرـةـ الـخـلـيلـ ، فـالـقـاتـلـ أـمـرـيـكـيـ وـسـلـاحـهـ أـمـرـيـكـيـ ، وـتـموـيـلـهـ أـمـرـيـكـيـ ، أـمـاـ الصـهـايـرـ بـقـيـادـةـ رـايـبـينـ فـقـدـ شـارـكـواـ فـيـ الـمـذـبـحةـ مـبـاشـرـةـ مـنـ خـلـالـ جـيشـهـمـ الـذـيـ حـصـدـ مـنـ أـرـواـحـ الـمـسـلـمـينـ هـنـاكـ عـشـرـاتـ بـلـ مـئـاتـ الـقـتـلـىـ الـأـبـرـيـاءـ وـالـصـامـدـيـنـ ، وـتـحـصـنـ الـمـعـتـدـونـ بـصـيـاحـهـمـ أـحـيـاـنـ أـخـرىـ كـثـيرـةـ يـمـارـسـونـ الـاغـتـيـالـ حـتـىـ فـيـ حـقـ الـأـطـفـالـ الـذـينـ سـرـقـواـ مـنـ عـيـونـهـمـ الـفـرـحةـ وـبـرـاءـةـ الـطـفـولةـ ، لـقـدـ شـاءـتـ إـرـادـةـ اللهـ أـنـ تـُظـهـرـ الـمـجـرـمـيـنـ وـأـيـديـهـمـ مـلـطـخـةـ بـدـمـ الـمـصـلـيـنـ الرـكـعـ السـجـودـ ، وـقـدـ حـمـلـ كـلـ ضـالـعـ فـيـ هـذـاـ الـمـشـهـدـ الـمـقـرـرـ جـرمـهـ أـمـامـ الـعـالـمـ ، ثـمـ أـمـامـ هـذـهـ الـأـمـةـ الـمـصـابـرـةـ الـمـذـبـحـةـ كـلـ نـهـارـ ، وـلـمـ يـكـنـ رـصـاصـ (ـبـارـوـخـ جـولـدـشتـاـينـ)ـ سـوـىـ الـمـشـهـدـ الـأـخـيـرـ مـنـ مـسـرـحـيـةـ السـلـامـ الصـهـيـونـيـ وـرـايـتـهـ الـسـوـدـاءـ الـمـوـغـلـةـ فـيـ الـخـسـةـ ، وـمـاـ أـحـرـاـنـاـ أـنـ نـقـفـ أـمـامـ بـعـضـ دـلـالـاتـ الـجـرـيـمةـ وـتـدـاعـيـاتـهـ بـعـدـ أـنـ عـرـفـنـاـ تـفـاصـيلـهـاـ السـرـدـيـةـ ، وـبـعـدـ أـنـ اـسـتـشـعـرـنـاـ حـجـمـ «ـالـاسـتـغـفـالـ وـالـاسـتـنـدـالـ»ـ الـذـيـ مـُورـسـ عـلـىـ الـجـاهـيـرـ الـعـرـبـيـةـ وـالـمـسـلـمـةـ وـالـذـيـ أـطـلـقـ عـلـيـهـ «ـعـمـلـيـةـ التـطـبـيعـ»ـ ، هـذـهـ الـجـرـيـمةـ الـتـيـ قـادـتـهـاـ مـجـمـوعـاتـ وـقـوىـ مـعـيـنةـ تـسـعـىـ إـلـىـ تـمـكـيـنـ الـاـخـتـرـاقـ الـصـهـيـونـيـ مـنـ عـقـمـاـنـاـ الـجـغـرـافـيـ وـالـشـعـبـيـ ، وـبـدـاـ وـاضـحـاـ أـنـ هـذـهـ الـقـوـىـ الـتـيـ تـطـبـعـتـ تـرـيدـ أـنـ تـرـىـ سـوـادـ الـأـمـةـ قـدـ تـطـبـعـ وـهـمـ يـمـنـونـ أـنـفـسـهـمـ بـالـوـاـقـعـ الـذـيـ تـصـدـقـ عـلـيـهـ الـمـثـلـ «ـبـالـحـمـارـ فـاسـتـبـالـتـ أـحـمـرـهـ»ـ.

### الـدـمـ الـأـرـخـصـ:

كـانـ النـظـامـ الـعـالـمـيـ الـجـدـيدـ قـدـ حـدـدـ تـسـعـيـرـةـ الـدـمـ الـإـنـسـانـيـ وـنـجـحـ فـيـ ذـلـكـ أـيـمـاـ نـجـاحـ ، الـدـمـ الـمـسـلـمـ بلاـ رـيبـ هوـ الـأـرـخـصـ وـالـرـوـحـ الـمـسـلـمـةـ هـيـ الـمـسـتـهـدـفـةـ فـيـ مـسـلـسلـ الـعـدـوـانـ الـمـحـتـدـمـ مـنـذـ انـهـيـارـ الـحـربـ الـبـارـدـةـ ، وـلـابـدـ لـلـعـالـمـ الـمـتـحـضـرـ وـلـحـضـارـتـهـ الـغـرـبـيـةـ أـنـ يـذـرـفـ دـمـوعـ الـتـمـاسـيـحـ وـيـتـظـاهـرـ بـالـهـتـامـ حـيـنـاـ تـقـعـ الـمـجـازـ الـمـرـوـعـةـ لـتـأـكـيدـ تـحـضـرـهـ وـأـصـولـهـ الـمـهـدـبـةـ ، فـمـذـابـحـ سـرـايـيفـ وـكـشـمـيرـ وـفـلـسـطـيـنـ وـبـورـماـ وـالـصـومـالـ وـطـاجـيـكـستانـ تـلـقـيـ اـهـتـمـاماـ صـوتـيـاـ/ـإـلـامـيـاـ قـصـيرـ الـمـدىـ ثـمـ يـوـأـدـ بـاـنـتـظـارـ الـمـجـزـرـةـ الـمـقـبـلـةـ ، إـنـ هـذـاـ الـاـسـتـهـتـارـ بـهـذـاـ الـدـمـ الـمـسـلـمـ يـبـرـزـ مـنـ خـلـالـ مـمارـسـةـ الـأـمـمـ الـصـلـيـبـيـةـ الـمـتـحـدـةـ الـتـيـ يـرـأـسـهـاـ الـبـطـرـسـ الـعـرـبـيـ الـلـسـانـ الـنـصـرـانـيـ الـجـنـانـ ، وـيـكـفيـ أـنـ نـسـتـعـرـضـ آلـيـةـ عـمـلـ هـذـهـ الـهـيـثـةـ تـجـاهـ مـجـزـرـةـ الـخـلـيلـ الـتـيـ اـسـتـمـرـتـ مـنـاقـشـاتـ مـجـلسـ الـأـمـنـ الـظـالـمـ حـولـهـاـ أـسـبـيـعـ دـوـنـ إـصـدارـ حـتـىـ قـرـارـ يـدـيـنـ مـجـزـرـةـ هـيـ الـأـبـشـعـ فـيـ الـتـارـيـخـ الـإـنـسـانـيـ الـمـعـاـصـرـ ، ثـمـ تـحـجـمـ هـذـهـ الـمـؤـسـسـةـ الـإـنـسـانـيـةـ جـداـ»ـ.

عن إدانة الهند عن ممارساتها في كشمير بالرغم من أن الهند دولة محتلة لهذا الإقليم بموجب قراراتها الشكلية التي لا تعرف التطبيق الفوري والحرفي إلا على أجسادنا وفوق أراضينا المستباحة. أزهد الأرواح عندها أرواحنا، وأبخس الدماء دماءنا، وأثمن الرصاص هو المزروع في أجسادنا نبالماً وفتابل إنشطارية وأخرى «ذكية» ، أما إذا كان المستهدف على أرضنا عصابة مسلحة و مليشيا تمنع الطعام حتى عن مناصريها ، فإن هذه الأمم المتحدة ضدنا تشعر عن ساعد الجد والنشاط فتصدر القرارات في ظرف ساعات لأن الضحية نصراني مزروع في خاصرتنا كما هو الحال مع الصليبي (جون جرنج) الذي أرسلت الأمم المتحدة مبعوثاً دولياً لمراقبة» حقوق الإنسان الصليبي« فلم يجد بأساً من مهاجمة الإسلام» البربري « الذي يميز بين البشر حسب معتقدهم (كما يرى) بينما تميز شرعة الغاب وذراعها المرعب بين الأجساد المسلمة وتلك الكافرة فترمي الأولى بالمجازر وتلاحق أبرياءها بقرارات الحصار والتجويع والرعب!! وتشجع الأخرى بالمال والسلاح والدعم الإعلامي المستمر.

لقد تحولت بوصلة الصراع في عمقنا الشعبي من صراع أوطان ونزال عناصر إلى الحقيقة الذاهلة الشاردة حيناً من الزمن ، فإذا بالشعوب تدرك مع مطلع كل مجررة وأنباء كل حصار أنها مستهدفة لإسلامها وعقيدتها ، وأن القائمة التي كانت تستهدف حدودها الشرقية اليوم ستتال من نواحيها الغربية غداً أو عمقها الأوسط بعد غد ، فالهجمة مستعرة ولا تعرف لدمويتها حدأً، أرخص الدماء اليوم سيكون له ثمن غداً ، بينما يسيل في باقى لم تكن تعرف من دينها سوى مظاهر شكلية أو مناسبات موسمية، فتنقلب الدماء إلى وقود والأجساد الهائمة إلى شموع توحيد، والمجازر المتالية إلى صواعق كهربائية تبث في الأوصال الميتة ذرات الإيمان المتوجه.

الغرب اليوم في ظل هجمته الشرسة يستخدم أسلحة المقاطعة الاقتصادية وال الحرب النفسية، ويربرمج لإحداث زلازل سياسية وأزمات اقتصادية خانقة تصب في النهاية في مصلحته ، ولا يمكن أن نجد سائلاً أرخص من الدم المسلم هذه اللحظة سوى» النفط العربي « الذي وصل سعره إلى أدنى مستوى منذ حرب (١٩٦٣م) ، أليس من المستغرب حقاً أن تكون ثروة الأمة البشرية والمادية هدفاً مستباحاً ومباشراً في ظل هذا التردي المفجع؟!

### كلهم جولدشتاين:

أظهرت تحقيقات (اللجنة الصهيونية المشكّلة) للتحقيق في المجازرة الوجه البشع لهذه الصهيونية المغروسة دولياً المدعومة من قبل الدول الكبرى المتكالبة على القصعة المستباحة، حاكم الخليل» الجنرال جولدشتاين « قال: إن هناك توترةً أمنياً متضاداً منذ أكثر من عام وأنه نبه إلى ضرورة ضبط» المستوطنين « حتى لا يحدث ما لا تحمد عقباه.

جميلة هذه الديموقراطية الإسرائيلية الخانقة على دماء بنى الإسلام في الخليل ، ورائعة هذه الشهادات الإنسانية للدولة الديموقراطية الوحيدة وسط قطيع العرب الهمج!!

ما لا تحمد عقباه ، ترجمة جنود» جولدشتاين « الثاني قائد منطقة الخليل بأكثر من اثنتي عشر صفحة سقطوا وهم في ريعان الشباب بعد المجازرة ، أما أرقام الضحايا الذين سقطوا قبل المجازرة بقيادة» جولدشتاين العاقل « فلا نقل قطعاً عن عدد ضحايا ذلك المأفون المجنون.

وبين» العاقل « و» المجنون « علينا أن نصالح» الجنون « اليهودي الذي ي يريد رابين ومن خلال مؤسسته الصهيونية أن يصنع سلاماً معنا ، بموجب» روح السلام « وقوانينه يجوز لجيش رابين وجولدشتاين الثاني أن يمزق أجساد النساء والشيوخ والأبرياء بلا تحفظ ، فالضحايا هم من الأصوليين المتطرفين أعداء السلام ، ويجوز لجولدشتاين الأول وزمرة المستوطنين أن يصطادوا ضحايا» جيش الدفاع « حين يستفز المصلين في حرم الأقصى، ويطلق رصاص رشاشه تجاه أي

فلسطيني لا يروق له مظهره، ويتمهن كرامة المسلمين، ويقوم على تحطيم سياراتهم وقلب بسطات الخضار المتواضعة لمزارعي الخليل، وبموجب قوانين «الدولتين» الأولى والثانية... والعشر، فإن إزهاق روح مستوطن مجرم جريمة تُحتل عناوين الأخبار ، ويندد بها العالم الفذر المتواطئ، وتتصبح بضاعة الدمية العرفاتية الذي شاءت الأقدار أن يكون آخر تصريحاته الاستسلامية قبل المذبحة أن يندد بقتل مستوطن إسرائيلي على أيدي المجاهدين الذين لم يزاولوا يتمسكون بحقوقهم ، ويدافعون عن مقدساتهم حتى ولو بسخين أو ساطور.

«قانون جولدشتاين» الذي ابتكرته الصهيونية السياسية بقيادة «جولدشتاين الأكبر» الذي يتولى رئاسة الحكومة الإسرائيلية يقتضي توزيع الأدوار بين الحمائم والصقور والمعتدلين والمتطرفين ، ورصاص جيش يهود ورصاص المستوطنين ، وفي كل الأحوال تبقى الضحية هي الضحية والهدف هو اجتثاث الوجود العقدي والبشري لأهل الإسلام في البقعة المباركة، ومحاصرة المد الإسلامي المنتشر مع كل هجمة شرسه وكل سقوط درامي لقيادات العلمنة والتقطيع، هذه القيادات وخلفها الحيات والعقارب الإعلامية التي تريد أن تفرض على الشعوب السلام مع أعداء الله من اليهود، وتصر على أن المغضوب عليهم أبناء عمومه، وأن قتلة الأنبياء شرق وأوسطيون مثلنا، وأن أخوة القردة والخازير شركاء لنا في الآلام والأمال.

القضية هنا أن المؤسسة الإعلامية والسياسية العربية تريد أن تمارس الكذب وغسيل الأدمغة بمحاليل مغلوطة ومنتجات رديئة، تجعلها في نظر الساذج البسيط قليلة الحياة، عديمة الذمة ، فنص الكتاب وصحيح السنة لا ينالهما عشرات المهرجانات التطبيعية أو الحملات المتصهينة ، مهما قبض القائمون عليها من ثمن ثم زعموا لساذتهم أنها ناجحة!

### وإذا الشعوب سئلت:

ونحن نعيش هول المأساة ومع حالة الذهول التي عمت عالمنا العربي والإسلامي، خرجت الشعوب المسلمة لتقول كلمتها دون رتوش وفي غياب مقص الرقيب، لقد كانت الغضبة الشعبية العارمة رسالة أخرى ، تؤكد هوية الصراع ، وتذكر بمضمون المواجهة، فالمسلمون في أقصى الأرخبيل الأندونيسي وفي قرى سومطرة خرجوا في تظاهرات عارمة ليقولوا أنهم لا يزالون أحياء وأن ما يحركهم هو جرح الإسلام النازف ، بالرغم من كل محاولات التويم المغناطيسي والتقطيع الإعلامي الذي يحاول أن يمهد لعملية الاستسلام الكبير ، وما كانت هذه المظاهرة إلا واحدة من عشرات المشاهد المتتالية في أكثر من موقع وفي أكثر من بلد ، وقد خرجت لتقول وتعبر عن حجم الفاجعة ، كما عبرت عن وحدة المسلمين في بقاع الأرض وتكونهم العقدي وأن آيات الكتاب وبشارات الرسول صلى الله عليه وسلم - هي التي تحرك المسلم للهم المشترك وتدعوه لرفض التقطيع وكأن قائلهم يصرخ:

«حذار.. حذار

فإن بشارتنا في الكتاب

الذي يريدون

أن يطمسوا نوره من قلوب الصغار

ويلغوا أحکامه من حياة الكبار

فيجدوا تما تم للمائعين

ويعود تعاويذ للخائفين

وما كان إلا العقيدة ، إلا الشريعة

إلا الشعيرة.. إلا الشعار

برغم التقول ، رغم التأول ، رغم الحصار !

لقد عم الشارع المسلم عموماً والعربي خصوصاً حالة من»القرف« من هذا الوضع المزري ، فقامت الشعوب لتقول كلمتها، قامت السيدة الفلسطينية لتقول لمراسل المحطة الأمريكية: «أين عرفات؟ هل استطاع أن ينال أريحا أو غزة كما وعدوه؟ هل يستحق أن أهتف باسمه حتى اليوم؟ لقد رأى اليهود أنه باع القدس ، وصمت في خزي فتجرأوا على الخليل ، القدس والخليل لن تتحرر بعرفات و (...) إنها لن تتحرر إلا بالإسلام».

كانت العجوز الفلسطينية تقول بسان الحال لهذا المراسل:

حذار.. فلو أنكم للسلام دفعتم أعز ثمن

وسقطتم عليه الثرى والثريا شهوداً

وأجلب إبليس بالجند ينعق:

"«عشنا ..

وعاشت يهود

وعاش الوطن»

ولو أنكم للسلام سعيتم

بتقتيل كل غير وتقطيع كل أغرا

بتتعقيم كل النساء

بتتجفيف كل البحار

ستخرج هذي المحار

جنوداً ، يقدون من وهج الشمس

فجر نهار

ويعقب هذا السلام دمار

ويرقد في كل ناحية ألف نار

ويرجع للصابرين الوطن

ويصرع سيف الجهاد الوثن

ويعدب ماء

وتزهو ظلال.. بأهل ودار

نعم.. لقد خرجت جماهير فلسطين داخل حدود ١٩٤٨م وهي تنادي بإسلامها وأنها جزء من الكيان الكبير ، فقتل مواطن في النقب التي ثارت لأول مرة ، كما شهدت مدن الناصرة وأم الفحم (أم النور) ومناطق الجليل أوسع انتقاضة شعبية معبرة عن الذي يجول في نفوس الشعوب التي أقحمت في أتون التطبيع مع أعدائها ، ويراد منها أن تكون الدواب التي تركبها بني إسرائيل كما هو المفهوم الصهيوني الذي لا يوجد من يناظره ويصدده سوى آيات الكتاب التي في الصدور المؤمنة والتي ترفض هذا التعايش التensus الذي تصر قيادات العلمنة على وصفه بأنه تعايش رائع يخصه الكاهن الذي ابن المجرم جولدشتاين بقوله «إن مائة مليون عربي لا يساوون ظفر يهودي واحد» ، وهذا ما ترجمه مئات من الذين شيعوا جثمانه بقولهم» كلنا جولدشتاين «، أما شعوبنا فقد قالت بصوت واحد»ألا لعنة الله على المستسلمين.

### **زعامات الورق:**

المأزق الذي تعيشه قيادة منظمة التحرير الفلسطينية مؤشر لمدى الإنحدار في أسلوب القيادة وحجم القطيعة بين القمة والقاعدة ، والذي يصلح للتطبيق في أكثر النماذج العربية ، وإن كان نموذج القيادة

الفلسطينية جديراً بالتأمل كونها قيادة حركة تحرير شعبي تدعى تمثيل الدولة وممارسة شؤونها ولو من باب الإدعاء ، لقد لخص الكاتب الأمريكي (شومسكي) موقع القيادة الحالية بأنه «أسوأ وضع لحركة تحرير وطني في العصر الحديث» ، أو بعبارة معلق أمريكي آخر «إن مجررة الخليل مؤشر هام لمرحلتين: المرحلة الأولى كانت مشكلة قيادة المنظمة مع أمريكا وإسرائيل ، والثانية تتمثل في مشكلة المنظمة مع شعبها الفلسطيني الذي أحرق صور عرفات وداس عليها...».

وهذا التوصيف بالضبط هو ما يستخدمه المحللون السياسيون للقيادات المفلسة. إن مجررة الخليل كانت بمثابة المشهد الأخير الذي تختتم فيه هذه القيادة المتخبطة آخر خطواتها إلى المجهول ، فحتى جل كوادرها تخلت عنها ، أما القيادة فقد فقدت حتى هيبيتها الشكلية ، ولم يستطع عرفات أن يجمع اللجنة التنفيذية قبل المجازرة للمصادقة على اتفاقه مع بيريز في القاهرة ، فاكتفت إسرائيل بتقديع (الزعيم!) عليه!!

إن المتبع لردود فعل عرفات وقيادته يرى أن أرخص ثمن كان يفكر فيه هو دم شعبه ، لذا فقد سارع لنلبية نداء كلنتون لاستئناف المفاوضات ، ودماء شهداء المذبح لم تجف بعد ، ثم فوجئ بحجم الغضبة الشعبية وتضاؤل التأييد له فقلب له ظهر المجن ، وأصر على الحماية الدولية لسكان الأراضي المحتلة والتي كانت إحدى المطالب الصارخة لاتفاقه المسؤول.

لقد أيقن الشعب الفلسطيني أن هذه القيادة أعجز من أن تقود نفسها وتحل خلافاتها الداخلية المتتالية والناتجة عن تهالك المسؤولين على المناصب والأموال والنفوذ ، وأيقن الشعب الفلسطيني عبر ما صدر عنه بعيد المذبح أن اتفاق أوسلو المر لن يحصد سوى الحصم ، وأصبح رد الفعل الشعبي بمثابة كرة الثلج التي تكبر مع كل تدرج ، وترفض مع كل مجرزة هذه القيادة التي أحرقت كل مراكبها على شاطئ العجز والاستسلام للعصر الصهيوني/الصليبي الذي صرخ رابين بعد الواقعية بثلاث أسابيع«أن قيادة المنظمة لم تعد قادرة على إقناع الشعب الفلسطيني بالحل السلمي ، لذا فإن وزارته ستبحث عن السلام على الجبهة السورية بدلاً من الفلسطينية».

إذن أين أطنان السواد الكتابي الذي سطر عن السلام؟ أين الصديق المخلص الذي وجده عرفات في زيارته المسئومة لواشنطن في البيت الأبيض؟ أين منظروا السلام ودعاة وأنصار عرفات المهدب والمستسلم لقوانيين النظام العالمي الجديد...؟ لو كان لدى الزعيم تقدير فعلي لم حدث لتوارى عن كرسى القيادة وموقع المسؤولية ، فمنذ أن تسم مقاليد الأمور والقضية الفلسطينية وهي من شفا جرف هار إلى هاوية ، ومعظم الانتصارات التي تحقق لها كانت من صنع أطفال الحجار وجنرالات المولوتوف ويافعي الإسلام الذين يدفعون كل يوم من دمهم دفعه تذكر بجهاد عز الدين القسام ورفاقه الأبطال.

إن المجازرة بالفعل ستميز بين الصنوف والاتجاهات والمواقف أرادوها مجازرة الدم الأرخص ، وكانت شارة الفجر التي لامست زعامات الورق فأحرقتها ، هناك "«جعل سهى الطويل»" وشركاه ، وهنا "«إخوان أحمد ياسين»" وتلاميذه ، وهذا الفريق يرسم وينظم المواقف البطولية. أما الفريق الأول فكان انعكاساً لحالة الترهل والانكسار التي تترجمها الأبيات الشعرية التي تتلمس معالم مرحلة المجازرة وما قبلها وما بعدها :

مقتل ستين فتى في مسجد الخليل

تضارب الأنباء حول موتهم

قال .. يقال .. قيل ..

حمامة السلام مرت من هنا..

هذا الرصاص بيضها

وصوته الهديل  
عقد اجتماع عاجل لمجلس التكيل  
البحث ينتهي إلى ضرورة التعجيل  
في طلب التأجيل  
قصف مركز على أجهزة التسجيل  
مستقعلاً فاعلن مستفعل فعال  
هذا هو الموجز من أنبائنا  
إليكم النشرة بالتفصيل:  
تعيش إسرائيل ... .  
**الهوامش:**

(١) قصيدة سلام الدم للشاعر سعد عطية الغامدي

## المسلمون والعالم ماذا يبقى من دولة اليمن؟ قراءة في الأزمة اليمنية في مراحلها الأخيرة

عبد الله عبدالعزيز

مرت البلاد اليمنية في الأشهر الأخيرة بعدد من الأحداث وشهدت العديد من التطورات التي تستحق من المتابع للساحة التوقف عندها والنظر في آثارها ، كما أنها تستحق من أبناء الحركة الإسلامية دراستها واستتباط فوائدها ، ولعل من أبرز ما وقع مؤخرًا الأمور التالية:

### وثيقة العهد والاتفاق:

اتفق أعضاء لجنة الحوار السياسي بمن فيهم ممثلو أطراف الصراع في اليمن (المؤتمر الشعبي العام - الحزب الاشتراكي) على بنود وثيقة العهد والاتفاق بعد تلقيه من حزب الرئيس اليمني وإصرار من الحزب الاشتراكي ويعتبر ذلك الاتفاق بمثابة الانتصار للحزب الاشتراكي إذ أنه قد استطاع أن يتجاوز البرلمان الذي لا وجود مؤثر له فيه. كما استطاع أن يضع في هذه الوثيقة التي يسميها بعضهم «الدستور اليمني الجديد» حيث كافة شروطه ومطالبه التي تضمن له النفوذ والبقاء في السلطة، سواء أكان ذلك عن طريق تجريد الرئيس من كثير من مهامه وإعطائه لرئيس الوزراء الذي ينتمي للحزب الاشتراكي نفسه أو عن طريق فرض (نظام اللامركزية الواسعة) وإنخاب محافظي وكبار مسؤولي (ما يسمى بالمخالفين) والتي يضمن الحزب في كثير منها بطريق أو بأخرى وبالأشخاص في مناطق نفوذه قبل الوحدة انتخاب الناس لمرشحه ، كما أن الحزب استطاع بهذه الوثيقة نزع موافقة طرف الصراع الآخر على تجريده من أبرز وسائل قوته عن طريق الموافقة على إخراج وحدات الجيش من المدن والإغاء وزارة الإعلام وإيكال مهام أعمالها إلى هيئة وطنية مستقلة ، وتقليل صلاحيات البرلمان بإنشاء مجلس للشورى يختار أعضاؤه من أبناء المحافظات بالتساوي كما أن الحزب عن طريق هذه الوثيقة قد قطع عدة خطوات في العمل على إضعاف نفوذ القبائل اليمنية وتجريد اليمنيين من أهم ما يتميزون به وهو حيازتهم للسلاح وتنقلهم به عن طريق انتزاع موافقة (المنافس) على العمل على إنهاء الوجود المسلح غير الرسمي في إشارة إلى أسلحة القبائل والنظر في قانون حمل السلاح الحالي لجعله أكثر صرامة في إشارة إلى سلاح الفرد

العادي كما استطاع ذلك الحزب إبراز بعض القضايا التي تخدمه في صراعه كالجانب الأمني وما يسمى بمحاربة التطرف والإرهاب الذي كان البند الأول من بنود الوثيقة... إلخ ومع الكسب الكبير للحزب الإشتراكي في الوثيقة وضخامة التنازلات التي قدمت له إلا أن أبرز الملاحظات عليها لو توفرت النوايا الصادقة لتطبيقها الجدول الزمني المحدد لتنفيذ بنودها إذ أن كثيراً من القضايا بحاجة لاصلاحها إلى سنوات والوثيقة حددت لها أسابيع أو أشهر مما يضع الكثير والكثير من الاستفهامات حول حقيقة مطالب الحزب المذكور.

### تدوين الأزمة:

سعى الحزب الإشتراكي بقوة إلى تدوين الأزمة متخدّاً ذرائع عدّة لذلك ومن أبرزها:  
\* إدعاء الرغبة في توفير ضمانات حقيقة لتنفيذ بنود الوثيقة عن طريق حضور عربي ودولي واسع بعد قيامه بحملة إعلامية واسعة لإقناع المهتمين بالأزمة اليمنية أن الطرف الآخر ليس جاداً في العمل على تنفيذ بنود الاتفاق وأنه يسعى لوضع العقبات والعراقيل أمام ذلك، وقد حصل التدوين بالنسبة للوثيقة بالفعل إذ تم توقيعها في الأردن في ١٤١٤/٨/٩ وليس في اليمن.

\*أبراز خطورة الوضع الأمني والعسكري عن طريق تحريك بعض الألوية التابعة للحزب إلى موقع مثير للقوات الشمالية بالإضافة إلى تحريك بعض الأفراد والقبائل ودفعهم إلى ممارسة بعض الأعمال المخلة بالأمن والتي تقلق الدول الغربية كاختطاف بعض الأجانب كرهائن ونهب بعض ممتلكات الشركات الأجنبية هادفاً من وراء ذلك إلى إثارة اهتمام القوى الغربية بالوضع وتذبيتها إلى خطورة ذلك على مصالحها أو رعاياها أو شركاتها مما يستدعي تدخلها ، وهذا ما حصل بالفعل إذ أعلنت كل من الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد الأوروبي قلقهما من تفاعلات الأزمة اليمنية وضرورة إنهائها سلمياً ، كما تم تشكيل لجنة عسكرية شارك فيها إلى جانب اللجان اليمنية لجان عسكرية عمانية وأدنية بالإضافة إلى الملحقين العسكريين الأمريكي والفرنسي في صنعاء من أجل وقف التداعيات العسكرية وإرجاع الألوية الجيش المختلفة إلى مواقعها قبل الأزمة وبالخصوص الموجود منها في خطوط التماس بين الشطرين سابقاً.

\*الزيارات التي قام بها مسؤولوا الحزب الإشتراكي إلى بعض الأقطار العربية كمصر وسوريا وال Saudia والكويت والإمارات تحت ذريعة اطلاع الأشقاء العرب على حقيقة الموقف من وجهة نظر الحزب وما استدعته من زيارات مضادة من المؤتمر الشعبي العام لكل من الرياض والقاهرة (أبو ظبي) لعرض الأزمة من وجهة نظره أيضاً.

\*إيهامه لبعض الدول بدعوى وجود عناصر قيادية كبيرة مناوئة لها في اليمن وأنها تقع تحت حماية طرف الصراع الآخر ، وأنه لا فرصة لها لتصفية معارضيها الموجودين في اليمن والقبض عليهم إلا عن طريق الدخول على خط الأزمة والمطالبة بتسليم معارضيها الذين تصفهم بالطرف والإرهاب.

### التداعيات العسكرية:

في الوقت الذي كان زعماء الائتلاف الحاكم في اليمن يوقعون وثيقة العهد والاتفاق في عمان وفي حين لم تجف بعد أخبار أفلامهم كانت المدافعان تتبدل القصف في محافظة أبين الجنوبية بين قوات لواء العمالة الشمالي وقوات لواء مدرم الجنوبي ولقد عزز الحزب الإشتراكي وجوده العسكري في المحافظة عن طريق أوامر قيادته إلى ثلاثة من الألوية التابعة له وهي الوحدة في المكلا وقوات اللواء الخامس في عدن وقوات اللواء الثلاثين مشاة في شبوة بالتوجه إليها بهدف السيطرة على الواقع المهمة في المحافظة وتطويق لواء العمالة الشمالي الموجود فيها وضرب الوجود المميز في المحافظة لشباب الصحة الإسلامية العائدين من أفغانستان ولقد أشرك الحزب مع

جنود جيشه مليشياته الشعبية كانت نتيجة تلك التداعيات خسائر بشرية ومادية ملحوظة للطرفين ولولا رحمة الله تعالى لكان ذلك المواجهة بداية الشرارة لتصفية الوجود العسكري لما كان يعرف بالشمال في الجنوب ولما كان يعرف بالجنوب في الشمال مما يعني قيام المواجهة المسلحة الشاملة بين الطرفين وبالتالي التشطير والانفصال.

### محاولة تصفية وجود الشباب المسلم في أبين:

قبل الوحدة اليمنية حارب الحزب الاشتراكي الدين الإسلامي وقتل الأنفس سحلاً ورمياً وشنقاً ، وهنـاك الأعراض ، ونهـب الأموال وصادر الدور والأراضي ، وأهـان العلماء والأعيان وغيرـ في القيم والبنية الاجتماعية مما أثار عليه النفوس المؤمنة والشريفة وحرض الأيدي المتوسطة على زعمائه فسعت إلى التأثير لديـنها ولمن قـتل من أفراد عوائلـها أو انتهـك من أعراضـها أو صودـر من أموالـها ودورـها ومزارـعـها.

وكان عودـة الشـباب الـيـمنـي من أـبنـاء المحـافظـات الجنـوبـية والـشـرقـية من أفـغانـستان بعد قـيـامـهم بـواجبـ النـصرـة لـإخـوانـهم هـنـاك فـرـصة لـدى أـفرـادـ مـحـدـودـين جـداً مـنـهم لـلـانتـقامـ من بـعـضـ زـعـماءـ الحـزـبـ وكـوـادـرـهـ ماـ أـخـافـ الحـزـبـ وـأـقـضـ مـضـجـعـهـ فـأـخـذـ يـتـحـينـ الفـرـصـةـ لـنـشـرـ أولـئـكـ الشـبـابـ وـمـطـارـدـتـهـ وـإـيقـاعـ القـتـلـ وـالـتعـذـيبـ وـالـسـجـنـ عـلـىـ مـنـ تـقـعـ عـلـيـهـ اـلـيدـ مـنـهـمـ وـلـقـدـ كـانـتـ أـضـخمـ مـحاـولـةـ لـذـلـكـ فـيـ شـهـرـ رـمـضـانـ الـمـاضـيـ فـيـ مـحـافـظـةـ أـبـيـنـ تـحـتـ التـذـرـعـ بـمـشـارـكـةـ أولـئـكـ الشـبـابـ لـقوـاتـ العـمـالـةـ الشـمـالـيـ فـيـ صـرـاعـهـ مـعـ جـيـشـ الحـزـبـ !!

### افتتاح الحزب الاشتراكي:

نتـيـجةـ العـزلـةـ التـيـ أـوـقـعـ الرـئـيسـ عـلـىـ صـالـحـ نـفـسـهـ فـيـ نـظـرـاًـ لـمـوقـفـهـ فـيـ حـربـ الـخـلـيجـ الثـانـيـ وـعـلـاقـاتـهـ مـعـ إـسـلـامـيـنـ فـيـ الـيـمـنـ وـعـدـمـ اـسـتـيعـابـهـ لـلـوـاقـعـ وـطـبـيـعـةـ الـبـلـادـ الـجـغـرـافـيـ وـالـاجـتمـاعـيـ وـقـيـامـهـ بـارـضـاءـ بـعـضـ الـدـوـلـ مـنـ خـلـالـ طـرـدـ بـعـضـ رـعـاـيـاهـاـ الـذـينـ يـتـهـمـونـ بـالـإـرـهـابـ وـالـتـطـرـفـ فـقـدـ تـمـكـنـ الحـزـبـ الـاشـتـراـكـيـ مـنـ الخـروـجـ عـنـ عـزـلـتـهـ التـيـ كـانـ يـعـانـيـ مـنـهـاـ إـقـلـيمـيـاًـ وـدـولـيـاًـ وـنـظـرـاًـ لـتـبـعـيـتـهـ الـقـوـيـةـ فـيـ السـابـقـ لـلـمـعـسـكـرـ الـشـرـقـيـ حـيـثـ قـامـ أـمـيـنـهـ الـعـامـ بـزـيـارـةـ الـقـاـهـرـةـ لـيـقـولـ لـهـاـ إـنـهـ مـسـتـعـدـ لـتـسـلـیـمـ مـنـ تـرـیدـ مـنـ يـسـمـونـهـ بـالـمـتـطـرـفـيـنـ فـيـ الـيـمـنـ كـلـهـاـ لـوـلـاـ مـعـارـضـةـ عـلـىـ صـالـحـ وـإـسـلـامـيـيـنـ لـهـ مـنـ الـقـيـامـ بـتـسـلـیـمـ مـنـ يـوـجـدـ مـنـهـ فـيـ الـمـحـافـظـاتـ الـشـمـالـيـةـ وـزـارـ دـمـشـقـ لـيـعـلـنـ وـقـوفـهـ إـلـىـ جـانـبـ حـزـبـ الـبـعـثـ السـوـريـ فـيـ صـرـاعـهـ مـعـ حـزـبـ الـبـعـثـ الـعـرـاقـيـ وـلـيـسـ كـمـاـ يـفـعـلـ الرـئـيسـ الـيـمـنـيـ .

وزـارـ الـرـيـاضـ لـيـنـشـئـ عـلـاقـاتـ جـديـدةـ وـقـوـيـةـ لـمـ تـكـنـ مـوـجـودـةـ مـنـ قـبـلـ فـيـ وـقـتـ يـعـانـيـ الرـئـيسـ عـلـىـ صـالـحـ مـنـ تـرـديـ الـأـجـوـاءـ فـيـ عـلـاقـاتـهـ مـعـهـ .

كـمـ قـامـ الـأـمـيـنـ الـعـامـ الـمـسـاعـدـ بـزـيـارـةـ كـلـ مـنـ الـكـوـيـتـ وـالـإـمـارـاتـ مـعـزـياًـ إـيـاهـمـاـ فـيـ ضـحـايـاهـمـاـ وـخـسـائـرـهـمـاـ فـيـ حـربـ الـخـلـيجـ الثـانـيـ مـلـقـياًـ بـتـبـعـةـ الـمـوقـفـ الـيـمـنـيـ آـنـذاـكـ عـلـىـ (ـرـئـيـسـ الـدـوـلـةـ)ـ وـكـأـنـ الـحـزـبـ كـانـ خـارـجـ الـسـلـطـةـ وـقـدـ تـلـقـيـ الـحـزـبـ الـاشـتـراـكـيـ مـنـ جـرـاءـ ذـلـكـ الـاـنـفـاتـاحـ دـعـمـاًـ قـويـاًـ (ـاـنـظـرـ مـاـ صـرـحـ بـهـ مـسـؤـولـ إـشـتـراـكـيـ رـفـيـعـ الـمـسـتـوىـ لـمـجـلـةـ الـوـسـطـ)ـ عـدـدـ ١٩٠ـ )ـ مـاـ دـفـعـهـ إـلـىـ مـزـيدـ مـنـ التـصـلـبـ فـيـ صـرـاعـهـ مـعـ الرـئـيـسـ عـلـيـ صـالـحـ .

### دعامة الوحدة داخلية أم خارجية؟

أثبتـتـ الـأـحـدـاثـ فـيـ الـفـتـرـةـ الـمـاضـيـ أـنـ ضـمانـةـ اـسـتـمرـارـ الـوـحدـةـ الـيـمـنـيـةـ أـمـريـكـيـةـ أـورـوبـيـةـ ،ـ وـيـظـهـرـ ذـلـكـ مـنـ خـلـالـ التـصـرـيـحـاتـ الرـسـمـيـةـ لـمـسـؤـولـيـنـ أـمـريـكـيـنـ وـأـورـوبـيـيـنـ بـضـرـورـةـ إـنـهـاءـ الـأـزـمـةـ سـلـمـيـاًـ وـمـنـ خـلـالـ التـحرـكـ الـواـضـحـ لـلـسـفـيرـ الـأـمـريـكـيـ فـيـ صـنـاعـةـ وـمـشـارـكـةـ الـمـلـحـقـيـنـ الـأـمـريـكـيـ وـالـفـرـنـسـيـ (ـاـلـآـخـرـ مـمـثـلـ لـلـمـفـوضـيـةـ الـأـورـوبـيـةـ)ـ فـيـ اللـجـنةـ الـمـكـلـفةـ بـمـنـعـ اـسـتـمرـارـ التـدـاعـيـاتـ الـعـسـكـرـيـةـ وـأـهـمـيـةـ الـعـودـةـ إـلـىـ الـثـكـنـاتـ الـعـسـكـرـيـةـ حـسـبـاـ كـانـتـ عـلـيـهـ الـأـمـورـ سـابـقاًـ .

وكل أطراف الأزمة تدرك أن الغرب لا يهمه من يبقى في الحكم من أطراف الصراع سواء الرئيس اليمني أو أمين عام الحزب الاشتراكي ولكن الذي يهمه أن يكون الباقي منهم أكثر قدرة وأعظم تفانيًا في خدمة مصالحه.

والغرب يسعى إلى الاستقرار في اليمن وبالأخص في أماكن وجود النفط حيث يجب أن تبقى بمنأى عن الصراع القائم كما صرخ بذلك مسؤول أمريكي وسعى الغرب إلى الدعوة للاستقرار ليس من أجل سواد عيون اليمنيين ولكن من أجل مصلحته لكي يتمكن من تهيئة الجو الملائم للشركات الغربية المنقبة عن النفط والغاز هناك ومن أجل استخراج خيرات البلاد المختلفة.

ولكن يبدو أن الغرب مع حرصه على الاستقرار فهو يدعم الحزب الاشتراكي مباشرة نظراً لكون الحزب هو الأقدر على ضرب الحركة الإسلامية المتنامية في اليمن وهو الأجر بممارسة الانتشار الكبير لها.

كما أن الحزب هو الأقدر على القيام بخدمة المصالح الغربية نظراً لعدم وجود روابط ذات شأن تربطه بعقيدة الأمة وموروثها وللخبرة الطويلة في الخضوع للأسياد التي تميز بها نتيجة تبعيته لفترة طويلة لقادة (الكرمان) في موسكو والتي يمكن انتقالها إلى قادة البيت الأبيض إن لم تكن قد انتقلت بالفعل.

كما أن الحزب نظرًا لشراسته الشديدة ودمويته الكبيرة هو الأكفاء بالقيام بتقليل أظافر القوى الوطنية الأخرى التي قد توقف حجر عثرة في المستقبل أمام المصالح الغربية كالقبائل مثلاً.

وصحيح أن الغرب يهمه فقط تحقيق مصالحه سواء أكان ذلك عن طريق الوحدة أو الانفصال لكن يبدو أنه يدرك أن الوحدة أكثر ضمانة للاستقرار وأكثر قدرة على منع وجود توارات قد تصل إلى تهديد مصالحه في المستقبل ، كما أن الانفصال سيعني قوة الحركة الإسلامية في الشمال عن طريق تحالف الرئيس اليمني معها نظراً لحاجته الماسة إليها لمواجهة فلول الاشتراكيين المنتفحة.

وتتجدر الإشارة إلى أن ما سبق هو قراءة للمصالح الغربية في اليمن والتي تصنع القرار الغربي ، لكنها قراءة قد تخطئ من جهة ، وقد يدخل صناع القرار في الغرب بعض التعديلات التي تقبل المسألة وتجعل المصلحة ليست في الوحدة بل بالانفصال لأن يُسعى إلى تشتيت قلوب أبناء اليمن وجرهم إلى الحرب والنزائل خارج موقع النفط للتخلص منهم نظراً لعدم رضوخهم لاستعمار سابق اليمن الشمالي وعدم الخضوع والاستكانة للرجل الغربي الأبيض ، ونظراً لكثرة عدهم وخطورة أن يشكلوا في المستقبل من خلال الوحدة مع إخوانهم في الخليج والجزيرة خطاً يعرض مصالحهم وأمن ولديهم غير الشرعي (العدو الصهيوني) للخطر.

كما تجدر الإشارة إلى أن القول بأن ضمانة الوحدة خارجية لا يعني عدم وجود قوى داخلية خيرة ترغب بالوحدة وتكافح عنها بل هي كثيرة وفي طليعتها أبناء الصحوة الإسلامية لكن المراد أن القوى التي بيدها صنع قرار الوحدة والانفصال يرى أحدها الحزب الاشتراكي أن مصلحته بالانفصال ولا يوجد ما يردعه عن ذلك لو لا خوف تعريض المصالح الغربية في البلاد للخطر أما ما يوجد من عقبات داخلية أمام الانفصال كونه قد يؤدي إلى إراقة بعض الدماء نظراً لاختلاط موقع القوات الحالية للطرفين في الشمال والجنوب وكون الطرف الآخر قد يتخذ موقفاً متشددًا ويفجر الوضع فليس بأمر ذي بال لدى الراغبين في الانفصال بدليل تاريخهم الحافل بالقتل والدماء.

### من آثار الأزمة:

عانى الشعب اليمني من الأزمة معاناة كبيرة فيسائر المجالات حيث اكتوى بنارها واحتراق بلهيبها في وقت يتم تصارع الطرفين على بسط النفوذ وكسب المواقع بعيداً عن الشعور بحرقة الشعب وعظيم معاناته ، ولعل من أبرز الآثار التي ولدتها الأزمة اليمنية ما يلي:

تجاوزت الأزمة جميع ثوابت اليمن الشرعية والدستورية والقانونية وعودة تحكيم كل من طرفي الأزمة لمصالحه وما تمله عليه رغبته مما سبب فشل حركة مؤسسات الدولة الدستورية كمجلس الرئاسة والوزراء والنواب بل وشل حركة جل مؤسسات الدولة عن طريق عودة غالبية الوزراء والمحافظين وكبار المسؤولين الاشتراكيين في الشمال إلى الجنوب وعودة غالبية المحافظين والمسؤولين التابعين لحزب الرئيس في الشمال مما سبب تفككاً وفساداً إدارياً كبيراً أضاف إلى ذلك ما كان موجوداً من قبل من معاناة كبيرة لا تحفي على معظم أفراد الشعب.

الارتفاع الكبير في الأسعار حيث وصل سعر برميل الغاز في بعض المناطق إلى ٥٠٠ ريال وكيس السكر إلى أكثر من ٢٠٠٠ ريال وعلبة الحليب المجفف إلى ٧٠٠ ريال. مع قلة دخل الفرد وازدياد في معدلات البطالة والانخفاض الكبير في قيمة الريال الشرائية.

أضاف إلى ذلك توجه طرفي الصراع إلى صرف عائدات النفط من العملات الصعبة في شراء الأسلحة لتوزيعها على كوادرهما بدلاً من توفير السلع وتقديم الخدمات والبدء في تنفيذ المشاريع التنموية لصالح الشعب كله.

بروز النعرات المناطقية والقبلية وانتشار الحقد والكراهية بين أبناء المناطق والقبائل المختلفة إذ استغل طرفا الصراع أبناء المناطق التي تحت أيديهم والقبائل الموالية لهم وسعى كل طرف إلى تحريض أتباعه على الطرف الآخر وغرس البغض وال恨قد فيما بينهم والشخص الذي له اختلاط باليمنيين سيسمع ما يسمعه من مثل أنا شمالي وذاك جنوبى ومن مثل أنا من بكيل والآخرون من حاشد أو مذحج أو يافع أو من الأشراف... الخ.

عودة الحزب الاشتراكي بقوة إلى المناطق الجنوبية والشرقية عن طريق ايهاد وطرد المسؤولين والجيش والأمن الشمالي ، وعن طريق تسليح ونشر ميليشيات الحزب وتروع الناس بها لكبت الرأي المخالف واعادة شعار الحزب المعروف (لا صوت يعلو فوق صوت الحزب) مع زوال كل وجود لسلطة ما يسمى بدولة الوحدة في أراضيه ، وقد سببت تلك العودة القوية للحزب في تلك المناطق أموراً كثيرة من أهمها ندرة إن لم نقل توقف قوافل الدعوة إلى الله من الشمال إلى الجنوب وقلة حركة التنقل لكسب الرزق والبحث عن العمل... الخ.

تجميد العمليات والحركات الاستشارية الداخلية والخارجية وتعطيل الاقتصاد وشل حركات البيع والشراء والعمران انتظاراً من أصحاب رؤوس المال لما ستسفر عنه الأزمة . تشجيع قطاع الطرق من الأفراد وشراء ذمم بعض القبائل من أجل قطع الإمدادات من الغذاء والغاز عن بعض المدن.

غرس الحزب الاشتراكي الروح الانفصالية لدى كثير من أبناء المناطق الجنوبية والشرقية عن طريق نسبة أسباب معاناة الناس وأخطاء المرحلة الانتقالية إلى الشماليين وتجريد الحزب نفسه منها ، بل إن الحزب ليقوم بارتكاب بعض الأخطاء كالقتل ويقوم ببنيتها إلى خصمه ثم تقول كوادره للناس: هل تريدون هذا الوضع السيئ الذي جاء به الآخر أم ترغبون بالأمن والاستقرار الذي كنتم تنعمون به قبل الوحدة؟! بالإضافة إلى بث الأماني المعسولة بمستقبل واعد نظراً لظهور النفط والدعم اللذين يحلم بهما الحزب ويتوقعهما.

### فوائد و عبر من هذه الأزمة:

تستحق الأزمة اليمنية من المصلحين والداعية إلى الله عز وجل التوقف عندها لاستهاماتها واستتباط دروسها وأخذ فوائدها ولعل من أبرز الدروس والعبر ما يلي:

\*في الأزمة اليمنية سقط آخر لداعوي الديمقراطية في العالم الإسلامي بعد السقوط الكبير في الجزائر ، وثبتت أن المتشدقين بتطبيقاتها من أبناء المسلمين هم ألد أعدائهم ما لم توافق مصالحهم التي

يبتلونها ورغباتهم التي يطمحون إليها هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإن الأزمة اليمنية تسقط داعوي الغرب في السعي إلى تطبيق الديموقراطية في العالم الإسلامي إذ أنه وخلفاءه يدعون بقوة الحزب الاشتراكي الرافض لنتائج الانتخابات النيابية ومبدأ حكم الأقلية للأقلية.

\*تقلب حال السياسيين في التعامل مع شباب الصحوة الإسلامية بين مد وجزر حسب مصالحهم واحتياجهم العملي فإن أرادوهم أو خافوهم قربوهم وأعطوهم بعض المكافآت التي لا تؤثر على مواقفهم وإن استغفوا عنهم ولم يخشوا لهم لفظتهم وأذوهم حسأً ومعنى.

\*خطورة استعمال شباب الصحوة وعلمائها في اتخاذ المواقف والحكم على الآخرين ويزيل هذا الأمر جلياً في موقف بعض قيادات الإسلاميين في التجمع اليمني للإصلاح من الحزب الاشتراكي فبعد أن أعلنت انتهاء الخلاف العقدي والفكري وبقاء الخلاف السياسي مع الحزب الاشتراكي فقط إذا بالحزب يطلق العنوان لكوادره لمهاجمة الإسلام وشرائمه كنعدد الزوجات والمعاهد الإسلامية ، وإذا به يشتد في مطاردة الإسلاميين وقتلهم وسجنهم وتهجيرهم ، وإذا به يمنع قوافل الدعاء إلى الله ويعرقل أنشطتهم في الجنوب وييفهم ، وإذا به يصم حتى أولئك الدعاة بالإرهاب والتطرف والسعى إلى الفتنة وعدم فهم الدين على حقيقته. إن الاستعمال آفة خطيرة برزت في تعامل أولئك الإخوة مع الحزب ولو أنهم تأنوا وثبتوا مطالبهم الحزب بالتوبة والإصلاح مما هو عليه من كفر وردة لكان خيراً لهم. إن دعوة الناس إلى الحق لا يبرر أبداً مداهنتهم ووصفهم بما هم ليسوا عليه من الحق.

\*عدم جدوى السعي إلى كسب تغييرات دستورية وقانونية نظرية تصب في مصلحة الشريعة الإسلامية عن طريق دخول الانتخابات النيابية لأن الدساتير والقوانين في عالمنا الإسلامي جلها سائر على رغبة المتنفذين ومحققة لمصالحهم وبالتالي فإن على الدعاة إلى الله أن يبحثوا عن وسائل أخرى للتغيير مع الحرص على الابتعاد وتجنب الابتداع.

\*إن الإسلاميين مهما أظهروا من مرونة واعتدال وتبازن عن بعض القيم والمبادئ وسكت عن أخرى من أجل إرضاء العلمانيين في بلدانهم ومن خلفهم من قوى الشر القريب منها والبعيد فلن يغنى عنهم ذلك شيئاً أمام أولئك الأعداء وسيستمر أولئك في الكيد لهم ومحاولة إزهاق أرواحهم والعمل على محاولات تجفيف منابعهم.

هذه بعض من الفوائد وال عبر من هذه الأزمة ، والله نسأل أن يصلح الأحوال وأن يجمع القلوب على الحق وأن يبصر الجميع بصراته المستقيم حتى تتلافي في تلك الأخطاء والسلبيات ولعله يتضح للجميع وبخاصة الإخوة أصحاب التوجه الإسلامي الفوائد وال عبر مما حدث وأهمية استيعابها وتصحيح المسار في الدعوة والإصلاح والجهاد بالطرق الشرعية القوية فهل نعي ذلك عسى؟ ولعل والله من وراء القصد.

## المسلمون والعالم أوضاع على مذكرة المسلمين في» «غانما

مندوب» البيان  
تمهيد:

قد يخفي على كثير من المسلمين ما يتعرض له إخواننا المسلمين في غانا من محنّة بتواءٍ من أعداء الإسلام، وما يُؤسف له أن الإعلام العربي لم يتطرق لها. وقد وافانا مندوب «البيان» بهذا التقرير عنها.

### - البيان -

اندلعت الحرب يوم الثلاثاء ١٩٩٤/٢/٢ بقرية (بمبلا) الواقعة بالمنطقة الشمالية التي تبعد عن العاصمة (أكرا) بحوالي ٩٦٠ كم، ويسكن هذه المنطقة عدد من القبائل المسلمة والوثنية، ولكن أكبر قبيلة فيها عدداً وإسلاماً هي قبيلة (داغومبا) ٩٦%， ثم أربع قبائل أخرى تتراوح نسبة المسلمين فيها ما بين ٧٠% إلى ٨٨% وهي تحت أربعة ملوك.

وتعيش معها قبائل أخرى وثنية ونصرانية من بينها قبيلة (كونكمبا) النصرانية وهي قبيلة فاسدة متواحشة تعیث في الأرض فساداً وقد شاركت في هذه الحرب بكل شراسة وقسوة ضد المسلمين.

أما سبب إندلاع هذه الفتنة فهي مكيدة من أعداء الإسلام النصارى وتعود بدايتها إلى ١٢ سنة خلت، وذلك أن القبائل المسلمة المذكورة وهم الغالبية في الإقليم لم تستطع جهود التنصير أن تؤثر فيهم مع ما بذلت من أموال طائلة وإغراءات بالأغذية والملابس للسيطرة على هذا الإقليم وتنصيره. فلجأت إلى أسلوب المكر والتحرش، وراحـت تعـبـيـ قـبـيلـةـ (كونـكمـباـ)ـ المـذـكـورـةـ وـتـحرـضـهاـ عـلـىـ المـطـالـبـ بـأـرـضـ مـنـ (دـاغـومـباـ)ـ الـمـسـلـمـةـ لـتـسـتـقـلـ بـهـاـ.ـ ولـمـ رـفـضـ الـمـلـكـ خـطـطـ النـصـارـىـ لـهـمـ عـمـلـوـاـ عـلـىـ أـخـذـ الـأـرـضـ قـهـراـ،ـ وـرـاحـوـاـ يـجـمـعـوـنـ لـهـمـ الـأـسـلـحـةـ وـيـدـرـبـوـنـهـمـ عـلـيـهـاـ،ـ وـلـمـ تـمـ قـوـتـهـمـ هـجـمـوـاـ عـلـىـ الـمـسـلـمـيـنـ هـجـومـاـ شـرـسـاـ وـاسـعـاـ لـيـخـرـجـوـهـمـ مـنـ الـأـرـضـ المـذـكـورـةـ بـعـدـ اـحـتـلـالـهـاـ حـتـىـ يـبـنـوـاـ عـلـىـهـاـ كـنـائـسـهـمـ وـمـدـارـسـهـمـ،ـ فـأـحـرـقـوـاـ الـبـيـوتـ وـالـمـزـارـعـ،ـ وـهـدـمـوـاـ الـمـسـاجـدـ وـرـوـعـواـ النـسـاءـ وـالـأـطـفـالـ وـالـشـيـوخـ،ـ وـكـانـوـاـ يـسـتـعـمـلـونـ الـأـسـلـحـةـ الـحـدـيثـةـ الـمـخـتـلـفةـ.ـ وـقـدـ اـشـتـرـكـ مـعـ أـنـوـاعـ السـحـرـ الـتـيـ يـتـعـاطـونـهـاـ.

### حصيلة هذه المذبحة:

وأهم الأحداث البارزة في هذه الحرب هجموا على ١٥٠ قرية وفعلوا بأهلها ومنازلها الأفاعيل، ويلاحظ التركيز على هدم وإحراق المساجد على المسلمين بها بكل قساوة وعنف، ويقدر عدد المساجد المحروقة والمهدمة بحوالي ١٠٠ مسجد حسب إحصاء الأخير الذي حصلنا عليه من الحكومة.

وفي قرية (سامبو) دمروا المسجد بما فيه من المسلمين ويقدر عددهم بـ ٧٠ شخصاً من بينهم إمام المسجد، وفي قرية (سوسن) اقتحموا المسجد وقتلوا أكثر المسلمين فيه، وفي قرية (زيزغو) أيضاً أحرقوا المسجد وقتلوا المسلمين فيه وكذلك فعلوا (بساباتي ومكيلي) وغيرها من القرى.

وأما عدد البيوت المحروقة والمهدومة فقد بلغت بستمائة بيت، أما المزارع التي أحرقت فقد بلغت بأكثر من ألف مزرعة.

ويقدر عدد الموتى حسب إحصاء الحكومة الأخيرة بما يزيد عن (٨٠٠٠) قتيل ممن عثر على جثثهم، ولا تزال فرق التفتيش تواصل عملها لدفن الجثث هنا وهناك.

أما المشردون من اللاجئين فيقدر العدد بـ (٢٠,٠٠٠) شخص، وقد وصل منهم إلى (تمالي) بـ (٤٠٠) شخص، أما الشيوخ والأطفال والنساء الذين لم يصلوا بعد فلا يعلم مصيرهم في الأدغال إلا الله.

وأما النازحون لحدود (التوجو) فيقدر عددهم بحوالي (٥٠٠٠) لاجئ وهؤلاء اللاجئون يعيشون ظروفًا صعبة جدًا من جميع النواحي وحاجتهم ماسة للغذاء واللباس ، ومن بينهم جرحى كثيرون يحتاجون إلى علاج وغذاء.

### الدعم الحاصل لا يكفي:

وقد حاولت بعض الجهات الإغاثية دعم المسلمين وخاصة المشردين منهم من جمعيات محلية وهيئات خارجية ببعض المال ، لكنه كان قليلاً جدًا لا يكفي شيئاً ، ومنها:

١- المجلس الأعلى للدعوة والبحوث الإسلامية بمالي.

٢- جماعة الهدى بأكرا.

٣- مجلس التنمية بيت الزكاة الكويتي.

٤- جمعية إحياء التراث الإسلامي الكويت.

وقد حاول المهاجمون من النصارى والوثنيين احتلال مدينة (ياندي) المسلمة وحاصروها لأكثر من أسبوع، وركزوا كل قوتهم عليها، ولكن المسلمين بعون الله تعالى دافعوا عنها ببسالة وردوا الكفار على أعقابهم خاسئين.

وفي هذه الأيام تحسن الوضع وخفت حدة القتال بعدما تدخل الجيش وضرب الوثنين بالطائرات فتراجعوا، وقد صادر أكثر من (٢٠٠) بندقية حربية (كلاشنكوف) ومدفعية (آر.بي.جي) وغيرها، وأعلنت حالة الطوارئ بالمنطقة لمدة ثلاثة أشهر بعد أن سقط من أفراد الجيش عدد غير معروف.

والحقيقة المُرّة هي أن النصارى والوثنيين قد بلغوا هدفهم، فقضوا على عدد كبير من المسلمين وشدوهم وأحرقوا وهدموا وخربوا مساجدهم ومنازلهم ومزارعهم ، واحتلوا جزءاً كبيراً من أراضيهم

وهكذا فالMuslimون هنا يعانون كما هم يعانون في كل مكان وزمان من مأسى وكوارث من أعدائهم ، فإلى الله المشتكى.

## قراءة في كتاب ليس غبياً ومع ذلك مسلم! قراءة في مذكرات «مراد هو فمان» (\*)

محمد حامد الأحمر

كانت السيارات وهما من طراز «شيفروليه» قد تصادمتا بمقدمتيهما بسرعة إجمالية تبلغ (٩٥) ميلًا في الساعة تقريباً ، وكانت فرصة للنجاة من هذا الحادث تعادل تلك التي كان يمكن أن أحظى بها فيما لو أني قفزت من الطابق الخامس في مبنى مرتفع.

وعندما كان الجراح يحاول إعادة وجهي الممزق إلى ما كان عليه ، تسائل بصوت مرتفع عما كان عليه شكري قبل الحادث ، وتمكنت بحركة من رأسي أن أشير إلى أنه يمكنه أن يعثر على جواز سفري في طقم ملابسي المخضبة بالدماء وأخذ الطبيب لبعض الوقت يجill بصره على التوالي بين صورتي في جواز سفري وتقاطيع وجهي الممزقة ، ثم همهم مردداً بأنه يمكنني أن أجري جراحة تجميل بعد بضع سنوات.

وأضاف بتحفظ وهو يحقنني بجرعة تخدير في أول ليلة لي بالمستشفى: «يا عزيزي إن المرء لا ينجو في مثل هذه الحوادث! لعل الله قد أدرك لك شيئاً في المستقبل!». وبعد تسعه وعشرين عاماً، أي في ٢٥ (أيلول) عام ١٩٨٠م استطعت أن أدرك معنى هذا» (ص ٢١-٢٠).

هكذا يبدأ «مراد هوفمان» مذكراته في سياق ممتع يبهج القارئ المسلم في زمان قل فيه أن يقرأ شيئاً يفرجه ، وال المسلمين يفرحون بهذا النوع من الكتب لأسباب عديدة: أولها فرحة المسلم بمحتوى جديد ينقذه الله من النار ، فنفرح له بالهدایة والنجاة ، والسبب الآخر أننا نفرح عندما يُعترف بنا ، فحن في عالم النكران والتتجاهل ، يصب علينا الرصاص من جانب ، والإعلام الساخر المستهزئ بالمسلمين من جانب آخر ، فإذا سمعنا همسة إنصاف أو اعتراف طرنا بها فرحاً.

وأخيراً فإن المشهور من قصص الذين كتبوا مذكرات إسلامهم أو حياتهم بعد هدايتهم تكشف لنا كثيراً من جوانب عظمة ديننا التي قد لا ندركها ، ولكنها تقدم حللاً لعدد من المشكلات التي يعانونها وعايشوا مرارتها ، وضاقت السبل بهم في البحث عن حل لها ، ثم يجدون في الإسلام خير حل لها. إن في احترام العقل ويقظة الروح واعتدالها عند المسلم الحق وفي مصادر المسلمين السنة، ما خلب عقل»«مراد هوفمان» وهو المتفق القانوني الفيلسوف المتمرس بالسياسة وصاحب الميول الروحية، لقد جذبه الإسلام بإعجازه الرباني فاندفع له بكل اهتمام وعمق يقين.

يقدم»«مراد» قصة التثليث في المسيحية بكل سخرية ، وينقدوها وينذر بعض علماء اللاهوت من أمثال»«هانز كونج» الذين بدا لهم أن التثليث خرافية ويتمنى لهم الإسلام إذ يراهم على أبوابه يقفون ، و»«كونج» هو مدير معهد الأبحاث المسكوبية في «توبنجن» بألمانيا ، وقد اعترف أن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم نبى حقيقى بمعنى الكلمة ، واشتعل الخلاف بينه وبين رؤوس الفاتيكان الذين يعتقدون»«الخلاص فقط في النصرانية» ، وأنه لا أنبياء من خارج الكنيسة.

وقال»«كونج»: إن الإسلام طريق حقيقي للخلاص، وإن الكنيسة لا يمكنها أن تستمر بعد ذلك في إنكار أن محمداً صلى الله عليه وسلم-المرشد والقائد على هذا الطريق يعد نبىاً حقيقياً بكل معنى الكلمة، ويعتقد»«كونج» أن الإنجيل قد بشر بمجىء نبى آخر» (ص ٢٣-٢٤).

وينقل في نصوص عديدة أنه لو طبق منهج النقد التاريخي على عدد من الأديان لما صمدت للنقد التاريخي، ولكن الإسلام لا يخشى تطبيق هذه المناهج عليه ، ويتنمى»«مراد» لـ»«هانز كونج» أن يسلم ، فقد وضع قدميه على الطريق.

إن سعة أفق المؤلف ، وتنوع ثقافته جعلت من الكتاب درساً ثقافياً جيداً وجعلت من عمل المترجم عملاً صعباً، فقد وفق كثيراً ووّقعت له في الترجمة هنات هنا وهناك ، مما لا يعزب عن فطنة القارئ.

وكما أن في الكتاب مناقشات وسيرة حياة، فإن فيه سيرة قارئ وتجربته مع الكتب والثقافة والشعوب، فمرة تجدك في بعض الفصول تقرأ عرضاً لكتاب، وفي أخرى تقرأ نقداً اجتماعياً لمجتمعه الغربي، ومرة ثالثة في خلاف مع الصوفية، ورابعة يشيد بأخلاق المجتمع الإسلامي الذي تعمقت فيه أخلاق الإسلام رغم العمل الدائب من أنصار التغريب الذين يحاولون تدمير أخلاق الشعوب الإسلامية، ويسخر»«هوفمان» من هذه الطائفة التي بدأها»«أتاتورك» ومسخت أخلاق الشعب التركي وحضارته وأبعده عن الدين الحق، ويقص قصصاً مؤلمة لبعد الأتراك عن الدين ، حتى أصبحت الحروف العربية عند الجيل الجديد كالحروف الصينية ، والتي جعلت أحدهم يرد عليه وهو يسأله عن بعض العادات الحسنة في تركيا عندما يطرق الباب ألا يزيد على ثلاثة طرقات، ويبعد يده حتى لا يطرق الرابعة، فتقول له حماته زكية: «إنها عادة تركية» ولا تعرف أنها سنة الرسول-

صلى الله عليه وسلم-، وكذا الأمانة في البيع وبعض ما ورثه تجار أتراك أصلاء يعودونه عادة تركية وهي في الأصل خلق إسلامي ، ثم تحدث عن دور الإسلام في إصلاح التجارة، وأساليب التعامل من خلال إصلاح الإنسان.

«مراد هو فمان» عايش الحقبة الأخيرة من الحرب الجزائرية الفرنسية ، والمتهم مشاهد إحراق الفرنسيين لأحياء كاملة في الجزائر ب مقابل النابالم، وألمته كلمات جارته في الجزائر لأطفالها وقد شاهدوا قتل النساء الجزائريات الذاهبات إلى السوق فقد خفت الأم الفرنسية الروع والهلع الذي استولى على الأطفال من قتل جمع من النساء بلا سبب بأن قالت لهم: «إنهم ليسوا سوى عرب»!! يقول: بحثت مراراً عن ذلك السر الذي مكن هؤلاء الجزائريين الملزمين من احتمال كل هذا الاحتقار وسوء المعاملة والعذاب ، وأخيراً وجدت مفتاح هذا السر وأنا أعود لقراءة الآية (١٥٣) من سورة البقرة: ((يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلوة إن الله مع الصابرين)). ولا ننسى هنا إعجابه الشديد بأستاذة»محمد أسد« ، وقد ذهب لزيارتة في لشبونة وناقشه ، ويرى أنه ما من شخص آخر استطاع خلال المائة عام الأخيرة أن يبيّن النمساوي»محمد أسد« في إسهامه العظيم في شرح الإسلام ونشره في الغرب (ص ٦٥) ، ويبدو «هو فمان» أقوم منهجاً من أستاذة» أسد« الذي كان مغرقاً في عقلياته في مواضع عديدة من كتبه ، وله هفوات وغرائب مشهورة ، ولكنها لا تقدح في إسلامه وحسن نيته رحمة الله ، وما تركه من أعمال باللغة الإنجليزية تدل على اهتمامه بالقرآن وتفسيره وبصحيف البخاري وخاصة، وقد ظلمه من شك فيه ، وكتباته تحتاج إلى نقد علمي وليس إلى حقد ، ويكي فيه وصف»مراد« له وقد أنصفه في قوله »«والله أعلم» ، وأما »مراد« فما سبق من تزكية لكتابه فقد كان ذلك في العموم ، ولكن لم يسلم من هنات في فهمه للدين الإسلامي ولبعض أحکامه ، وقد أشار ودل قوله في مواضع من كتابه على عدم وضوح في الفهم ، مثل ذلك قوله عن الجهاد» إنه لا يعدو في أصله أن يكون جهاداً معنوياً»(ص ١٧٦) ، وكلام له عن الحقيقة الأرحب في نص موهم (ص ١٢١).

وأمثال هذه الكلمة مما يروغ عن التحديد العلمي ، أو تغلب عليه نفسية الاعتذار في بعض المواقع ، والحديث عن فكره وبقية آرائه العقائدية والسلوكية مكانه في دراسة عن كتابه» الإسلام كبديل « الذي خرج بعد هذا الكتاب مدار حديثنا.

لقد أحسنت يا» مراد« كتابة مذكراتك الإسلامية ، ونرجو أن نقرأ قريباً مذكرات أخرى لأفواج من المثقفين وعلماء اللاهوت الذين يسلمون ما بين وقت وأخر ، وقد لاحظ المؤلف عن وعي جوع الغربيين للإسلام ، ولكن عدم وجود قدوة ، حيث لم يسمح للغربيين أن يسلموا ، وهم يبحثون عن دليل مادي عن قدوة يتبعونها ، وأوضاع الفقر والجهل والخوف والفساد والخصام لا تسمح لأحد أن يتبعها إلا قلة من يفضلون موقف النبل ، يقول المؤلف: »«ومن ثم فقد فضلت موقف النبل المتواضع على موقف الكبار الغبي الذي يتخذه اللادريون المفترض فيهم الجرأة والاكتفاء الذاتي ، والذين غالباً ما يعيشون في عزلة نفسية جلدية وضيقة ، وبكامل وعيي أسلمت نفسي وفكري لمن هو أكبر من كل كبير» الله أكبر كبيراً» (١)(ص ١٢١).

لقد كان»مراد« شجاعاً وجريئاً عندما عرض على مؤتمر الناتو لمديري الإعلام بوزارات الدفاع عام ١٩٨٤ م في »بروكسل«: أن الإسلام فيه حل لمشاكلهم الدينية والأخلاقية ، وتساءل الحاضرون وهمسوا: هل رئيس المؤتمر جاد فيما يقول أم يمزح؟!

وأقام لقاءات ومناقشات في الجامعات والتلفزيون الألماني يدعو فيها إلى الإسلام ويصرح بقناعاته ، وفي المؤتمرات الدولية التي يرأسها يخبر مудي الطعام مسبقاً بدينه، ويحضرون له طعامه وموقه على مائدة ليس فيه خمر ولا خنزير ، ويتعجب من أحد أثرياء العرب وقد دعاه إلى الخمر فقال له

«مراد»: «وأين الله؟!» فرد عليه العربي الذي قال له من قبل إنه من ذرية الرسول صلى الله عليه وسلم- قال العربي الثري وهو سكران: «لقد تركت الله في المطار!!»<sup>(٢)</sup> ، لقد تجاوز «هوفمان» هذه العقبات والسلوكيات التي تمنع غيرنا من قبول ديننا والتي صنعت حاجزاً بينهم وبين الإسلام، إن الذين يتعاملون مع الغربيين من المسلمين كثيراً ما يكونون نماذج مكروهة ومنفرة عن الإسلام ، بتهتكها وخلاعتها وانعدام أخلاقياتها ، حتى كان لسان حال الذين نقشوه يقول: «ليس غبياً ومع ذلك مسلم» (ص ١٧٥). لقد وصم المتغربون بالإسلام بما يليق بهم.

مذكرات (هوفمان) كتاب يناسب عامة المثقفين وتحتاجه جداً طائفة المثقفين المخدوعين أو الذين استولت عليهم أو هام العالم النصراني القوي مادياً الذي أفقدنا بريقه ولمعانه القدرة على رؤية الحق الذي عندنا ، إنه نقاش ثقافي يعالج قضية المتطرفين من النصارى في الغرب ، ويعالج مشكلة المتطرفين للنصارى إلى درجة التشنج في العالم الإسلامي.

### **الهوامش :**

(\*) صدرت ترجمتها باسم (يوميات ألماني مسلم) ، ترجمة عباس رشدي العماري ، طبع بمركز الأهرام للترجمة والنشر ، ١٩٩٣ م ، ويقع الكتاب في (٢٣٨) صفحة.

(١)أشار » هوفمان « إلى قسيسين فرنسيين أسلموا مؤخراً (ص ٢٢٤) وإلى قسيس ألماني سوى من سبق ذكره كان يقول: إذا اختلف الإنجيل والقرآن فالقرآن أوثق وهو مقدم.

(٢) (ص ١٣٥) من كتاب الإسلام كبديل.

### **مقالة**

## **المرأة بين تفكيرين**

### **إعداد: نورة السعد**

لم تع المرأة المسلمة بعد أنها الخاسرة في هذه الصفة العصرية المسمّاة» تعليم البنات «في كثير من البلدان ، وهي خسارة لم تطلاها وحدها بل انسحبت بآثارها المدمرة على المجتمع بأكمله.. ماذا جنت المرأة عندما دفعوها دفعاً إلى صعود مراقي التعليم العلماني؟! غير أنها جنت على نفسها وعلى من سواها؟ لقد أخرجوا المرأة من بيت ولّيها: أباً أو زوجاً، بشتى الحيل وأهونها فكان ذلك بداية المحذورات جميعاً ، وتركت المرأة جهادها الكريم في بيتها وانصرفت إلى نضال مدنّس أو على الأقل ثانوي في الخارج ؛ سعيًا وراء تحصيل العلم بزعمهم!! وتحقيق الكيان الاجتماعي!! والوظيفة المرموقة ، وباسم العلم والنور والتقدم!! أخرجوا لنا نماذج نسوية تمرست وتقلبت في معركتات التعليم و مجالات العمل ومسارح الاختلاط المختلفة ، نماذج (رائدة) خلقت وراءها رسالتها وبخاصة هموم البيت ، ومشاكل الزوج والأولاد!! فضلاً عن تخلي الرجل عن ولايته وقوامته على المرأة، فلم يعد يأمر في أهل بيته ولا ينهى وانسحبت المرأة من البيت، وتفككت الأسرة وضاعت المسؤوليات.

### **لماذا تتعلم المرأة ، وماذا تتعلم؟**

تتعلم المرأة لتثير عقلها وقلبها ، وبماذا تنيره يا ترى؟ بالمناهج الدراسية الرجالية التي لا تنفع المرأة ، ولا تستقيم مع فطرتها ، ولا مع دورها الحقيقي في المجتمع! أم بالمناهج التعليمية إياها في شتى المراحل المعلوّة بالأفكار الالادينية بل المناوئة للدين أحياناً.. تلك المناهج التي تكرس الازدواجية في الأذهان (تعليم ديني ومدني ، قديم وحديث) وتعرض المفاهيم الداخلية وتزكيها وتطمس على

المفاهيم الإسلامية وتشوّهها (لاسيما مناهج التاريخ والتربيّة والاجتماع ، وخصوصاً مناهج الدين!!). (١)

وما ضرورة الدراسات العليا للمرأة المسلمة؟ في كثير من الأحيان هل حقاً هو التحصيل العلمي!! أم صرعة المساواة مع الرجل؟ إذن فما الآثار المترتبة على تخرج تلك الأفواج من حاملي الإجازات (العلمية)؟! أين فاعليتهم الاجتماعيّة؟ وماذا قدموا للمجتمع؟! ماذا قدمت تلك الرسائل الجامعية في معظمها غير انتقال أفكار الآخرين واقتباس كلامهم ، وتبني مناهجهم الضالة دون فهم أو تمحيص؟ حتى أصيّب كثير من الرجال والنساء بالخلل العقدي!!

فأجيّبني ما ضرورة الدراسات العليا للمرأة؟ لاسيما إذا جرّها ذلك إلى التغريب وحدها؟! فإن سفر المرأة يعني: سفراً دون محرم ، وإقامة دون ولد واحتلاطاً ومنكرات لا تعد ولا تحصى، خصوصاً في هذا العصر ، وعند فتيات اليوم، الّاتي لا يبالين برکوب الصعب، وخوض غمار التجارب ، برغم قلة الزاد.

وحتى عندما ترافق المرأة زوجها المبتعث إلى الخارج ، يتفتق الذهن التجاري للزوجين في كثير من الأحيان عن فكرة إكمال المرأة للدراسة أيضاً ، لا من أجل سواد عيون العلم ، ولكن تجمعاً للمرتبات (مرتب دراسي هنا ومرتب وظيفي هناك) أما الأولاد فيحصلون على الحشف وسوء الكيّلة ، فوق التغريب يلاقون الإهمال ، فيرمي بهم إلى جليسات السوء (baby setters) والمدارس الأجنبية ، وإلى خضم الحياة الغربية الموبوءة ذاتها.

ويذّيعي الجهلة والمضلّلون: بأن الاختلاط أقل كلفة من إنشاء كليات للبنين وأخرى للبنات ، ولكن ما الداعي أصلاً إلى تعلم المرأة لعلوم الذرة والهندسة والزراعة!! والإعلام والصحافة!! والأداب والفنون!! وغير ذلك؟ هل ليستوي الرجل والمرأة ، في الخضوع للغزو الثقافي وغسيل الأمّاّخ والتناقضات العقدية ، ولماذا كل هذا الحرص على إخراج المرأة وإفسادها؟ لماذا تمجد وتلمّع النماذج الشاذة في المجتمعات الإسلامية من شوّعيّرات ومتآدبات وفنّانات ومفكّرات ومحبّبات ومستوزرات!! لماذا جعلوا المرأة التقديمة بزعمهم تمثيّ تحت هالة من الأضواء والتعاطف ، وصوروا المجتمع الشرقي المتخلّف كما يحبون أن يطلقوا عليه يمكن متّرضاً وراء الجدار على هيئة رجل ملتح ببده خنجر؟! هل الإسلام عدو للمرأة؟! سيقولون لك: لا ، لكن المسلمين كذلك! فالإسلام موجود بين دفتي المصحف ليس خصماً لهم مadam القرآن مهجوراً!!

ولكن أين هي المرأة المسلمة؟! هل هي تلك الخيمة المتحرّكة كما يدعون!! المرأة الجاهلة المتخلّفة! تلك التي أورثتها جدران البيت قصر النظر وبلادة الحس ، وسُقم التفكير !! هل هي تلك التي لا تعرف من الحياة سوى الطبخ والنفخ،» واسكت يا ولد«، وهات أيها الزوج؟! أم أنها تلك المرأة العصرية (الواعية)!! التي تتمتع باستقلالية اقتصادية وفكّرية!! تلك التي تدفع بأبنائها إلى المدارس الخاصة أو المدارس الأجنبية!! تلك التي تختر بلدًا أجنبياً لتمضية الإجازة الصيفية ، لينعم أطفالها»بكورسات» اللغة الإنجليزية ويمارس أفراد العائلة حرياتهم بعيداً عن أعين الرقباء!! تلك الأم العصرية التي اهتدت (!! ) إلى تطبيق التربية الحديثة الفدّة فألبست صغيرتها ذات الاثني عشر ربيعاً (!! )»البنطال« و»التي شيرت« وتركتها تقص شعرها كالصبي ، وتمارس الهوايات الرياضية،

وتتلقى دروساً في الموسيقى ، ولأنّها تتّفوق في الفيزياء والرياضيات الحديثة ، فليس عليها بعد ذلك ألا تحسن شأنها نسويّاً واحداً وألا تعرّف من القرآن والدين إلا ما تجتاز به امتحاناً، دون ممارسة أو تطبيق، ولماذا تتحجب هذه الفتاة وأمّها لا تلتزم كثيراً بالحجاب الشرعي!! ولماذا تتحجب والحجاب مسألة شخصية!! ولماذا تكره على الصلاة؟ وليس لديها وقت لذلك!! فالوقت مزدحم بالدراسة والنادي والأتاري والفيديو والفسح... الخ عندما تبلغ الفتاة سن الرشد فإنها ستختار (أو لن

تختار لنفسها الحجاب والصلاوة وبقية الأمور المؤجلة!! أما الآن فالأم تسلح ابنتها بأساسيات الحياة وبما ينفعها حقاً في حياتها العملية!!

هذا جانب من التربية الحديثة التي تفتخر بها الأمهات العصريات في المجالس النسوية، ويفضّل أن الحديث فيما أنفقته على المدارس الخاصة ، ودورات المهارات الالكترونية ، وملابس الصيحات الحديثة، والسفريات هنا وهناك فسينفقون أموالهم ثم تكون عليهم حسرة.

إن المرأة المسلمة حقاً هي التي بايعت الله ورسوله صلى الله عليه وسلم -على السمع والطاعة: فصانت نفسها ، وحصنّت بيتها ، وجعلت همها الأول في حمل الأمانة التي استحفظت عليها: تربية الأجيال الربانية المحمدية ، وعرفت حق المجتمع عليها ، فانطلقت تتفقه في دينها ، وتدعى قريّناتها ، وتنصح لأخواتها.

إنها تلك التي طالبت بنصيبيها من الهدي الرباني لما غلبها الرجال عليه فاستجيب لها ، لأنها شقيقة الرجل ، أي شريكه لا نده، فإن اختلاف الطبائع الجسدية والنفسيّة ، عند كل من الرجل والمرأة يعني بالضرورة اختلافاً حاسماً في الوظائف والأدوار ، وإلا فإنه من المجافي للمنطق أن يخلق الإنسان ذكرأً وأنثى دون أن يترتب على ذلك أمر ما.

ولقد خرجت المرأة المسلمة في خير القرون ، مجاهدة في ظل القرآن لكن ذلك لا يعني أنها هجرت بيتها ، وحملت السيف وجالدت الرجال ، فإن النماذج المعروفة لنا لا تمثل صوراً عامة ، لكنها نماذج معدودة فحسب لنساء مسلمات ، استجبن بشجاعة منقطعة النظير لدعاوى إيمانية بحثة ، فقد شهدت نسيبة بنت كعب مع زوجها وابنتها أحداً ، وشهدت أيضاً الحديبية ويوم حنين ويوم اليمامة ، وشهدت أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها البرموك مع زوجها الزبير ، وشهدت أم سليم حنيناً مع زوجها أبي طلحة ، وابنها أنس بن مالك ، وحمل عبادة بن الصامت زوجه أم حرام معه لما غزا قبرص في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه.. ويتجاهل الكثيرون أن هاتيك النسوة المسلمات ، وعلى رأسهن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قد شاركت في الأحداث المهمة في عصرهن، وخضن المعارك، ومع ذلك كله فلم تكن إداهن تكلم الرجال إلا من راء حجاب.

إذا كان الرجل نصف المجتمع فإن المرأة هي نصفه وحاضنة نصفه الآخر فهذا الرجل نفسه قد تعرض لتربية المرأة أماً وتأثيراتها أختاً وابنة وزوجاً ، وإذا كان في وسع الرجل أن يتصل قليلاً أو كثيراً من مهامه داخل بيته ، فإن المرأة لا يسعها من ذلك أقله ، فهي المربية المدبرة المسؤولة ، شاءت أم أبت ، فإذا صلحت صلح الأمر كله وإن غاب الرجل وإذا فسدت لم يُجد مع ذلك دواء. إن صلاح الرجل والمرأة ، مرتبط أساساً بعودة المجتمع إلى نظام الإسلام ، إنه في بلوغنا القيم الإيمانية التي تجعلنا نحيا في سبيل الله حياة ربانية كاملة ، في أقوالنا وأفعالنا ومشاعرنا وأذواقنا ، وخلجات صدورنا وآفاق تصوراتنا ، وغایيات آمالنا ، إنطلاقاً من غاية التربية الإسلامية ومناهجها المبنية على تكوين الفرد الصالح في نفسه المصلح لما استُرْعِيَ عليه.. وقد استُرْعِيتَ المرأة على البيت المسلم الذي يمثل بحق نواة مصغرة للمجتمع كله ، بل الحياة بأسرها.

### الهوامش

- (١) انظر د. يوسف القرضاوي الحل الإسلامي فريضة وضرورة ط ٣ - ١٣٩٧ هـ مكتبة وهبة القاهرة ص ٤٤٤.

## قضية الآخر» في كتابات المثقفين العرب

د. محمد يحيى

أصبحت قضية ما يسمى «بالآخر» تشغل حيّزاً واضحاً في الطرورات الثقافية على الساحة العربية في الآونة الأخيرة ، لاسيما في مجال مواجهة الفكر الإسلامي ونقده ، حيث توجه تهمة رئيسة الآن إلى هذا الفكر بأنه لا يعترف بالآخر ، ولا يفقه التعامل معه ، بل لا يضع قضية الآخر برمتها في الحسبان ويرمى الفكر الإسلامي بهذه التهمة من قبيل رموز العلمانية على امتداد ساحة العالم العربي الفكرية ، كما تبني على هذه التهمة اتهامات فرعية ، تتعلق بدعوى ضيق الأفق ، والانغلاق ، والتعصب وما شابه ذلك وتقترب بهذه القضية أو هذا الطرح مسائل أخرى ، أصبحت مشهورة ثقافياً في الفترة الأخيرة قضية التعددية ، والتفاعل الفكري الحضاري ، وإسقاط مفهوم الهوية والذاتية ، وتجنب الحديث عن الغزو الفكري والثقافي ، باعتبار أن كل هذه المسائل تعالج قضية الآخر وتحلها ، وفي الوقت نفسه ينشغل بعض المثقفين الإسلاميين بالرد على الطرورات الدائرة في تلك قضية الآخر ، بتوضيح افتتاحية الإسلام ، وقدرته على التواصل الحضاري ، وسماحته الدينية ، وعدم تبنيه مفاهيم ضيقة حول الهوية ، والذات ... الخ.

ولكن في خضم هذه الطرورات والطرورات المضادة ، تغيب حقائق واعتبارات مهمة يغفلها عمدأً أو سهواً من أتوا بقضية الآخر إلى الساحة الفكرية كما إن عدم تعرض من يتصدون بالرد من الجانب الإسلامي لها يضعف من فاعليّة دورهم و يجعلها أشبه بالضربات المضادة» الروتينية» التي توجه في لعبة كرة المضرب حتى تستقر الأمور إلى أن يتناول الطرفان الكرة في رتابة، حتى يسجل أحدهما نقطة، ثم تعود المبارة إلى وثيرتها، حتى يسجل الآخر نقطة.. وهكذا ، ومثلما هي الحال في كثير من القضايا الثقافية المطروحة ، لاسيما في مجال المواجهة بين الإسلام والفكر العلماني فإن المطلوب هو كسر حلقة الرتابة في طرح القضية وإدارتها بدلاً من الاندماج الطوعي غير الوعي في داخل هذه الحلقة ، مما ينتهي إلى العقم ، وعدم الجدوى حيث يسجل الطرفان النقاط كل أمام جمهوره ، ويفوز أحدهما في النهاية لكي يواجه الهزيمة في المبارزة أو القضية التالية.

المطلوب إذن هو الخروج من دائرة التبادل الرتيب للحجج والحجج المضادة داخل حلقة المبارزة القضية المطروحة إلى فحص وكشف قواعد المبارزة، ومن الذي فرض هذه المبارزة القضية وحدد إطارها الفكرية؟! والمطلوب أيضاً تسلیط الضوء على هذه الأمور الواقعة خارج إطار ساحة اللعب؛ لأن ذلك أكثر فائدة لفهم القضايا، و التعامل معها، وكذلك للعلم والوعي بحقيقة، وهذا هو المطلوب تجاه قضية» الآخر» برمتها.

لعل أول الأسئلة التي ينبغي أن توضع في هذا السياق هو: من الذي يطرح قضية الآخر؟ وهو سؤال يفتح الباب لأسئلة حيوية أخرى مثل: ما هو هدف إدراج هذه القضية؟ ، وهل تطرح هذه القضية بهدف ثقافي محض هو المعرفة المجردة؟ أم تطرح بهدف سياسي/ثقافي هو توجيه ضربة ، أو إثارة عقبة أمام تيار خصم؟.. هناك سؤال أخطر حول ما الذي يعنيه بالضبط من يطلقون مصطلح «الآخر»؟ وما هي أبعاد القضية وما هي المصطلحات المتصلة بها؟.. هذه هي الأسئلة التي يجب أن تطرح قبل الإجابات والحجج والأسانيد التي تثبت أن الإسلام يعترف بالآخر ، ويعامل معه ويتفاعل ويفكـر.

إن مفهوم أو مسألة »الآخر« تستند أساساً إلى تراث أوروبي فكري وفلسي بعيد الغور وطويل التأريخ ، فهو متصل مثلاً في النزعة» الإنسانية« أو بالأصح الفردية ، التي غلت على الفكر

الغربي فيما يسمى عصر النهضة وما تلاه من عصور فلسفية ، حيث تضخم إحساس الإنسان الفرد بذاته وشخصيته وكيانه ومشاعره ورغباته وتطوره ومصالحه ، إلى حد أصبح معه هو وليس الرب أو الإله أو الأمة أو المجموع البشري محور التفكير والهم الأول والأسبق ، وإزاء هذا التضخم والمحورية للذات المفردة ، وتحولها إلى عالم واسع من الأفكار والمشاعر والرغبات والمصالح تدور حول نفسها في أنانية طاغية أصبح « الآخر » وهو الأفراد ، أو الكيانات ، أو الذوات الأخرى مشكلة أو قضية تفرض نفسها من حيث كيفية التعامل مع هؤلاء ، وتحقيق الذات في مواجهتهم أو على الأقل بتنسيق معهم ، أو دون الدخول في صراع معهم ، أو بالدخول في صراع معهم والفوز في هذا الصراع .. باختصار شديد فإن قضية الآخر نشأت فقط في ظل تضخم وتمدد الإحساس»

بالأنا» المفردة، أو بالذات والكيان والشخصية الفردية إلى حد أصبح معه إيجاد مجال لما هو خارج الفرد أو لما هو غير الذات مشكلة تتطلب الحل ، وتنطلب التفكير في أبعادها ومضامينها.

النزعية الفردية الغربية المسمة أحياناً أو في أصلها « بالإنسانية » هي الرحم الأول الذي ظهرت فيه قضية الآخر ، والتي ظهرت تجلياتها تباعاً في الفلسفات والمذاهب الفكرية الغربية المختلفة حتى العصر الحالي ، ففي فلسفة هيجل المنطقية ، وفي مفهوم الحد والذات غير المطلقة في كلامه عن النفس والروح والتاريخ يصبح الآخر ضرورة حتمية تلازم الذات المفردة ، وتحتم عليها التعامل معها ، وإذا كانت الذات والآخر هنا أفراداً أو مفاهيم ، فإن الذات والآخر في فلسفته عن التاريخ تصبح أمماً وجماعات ودولًا يجري التصارع والتناقض بينها على هذه الأسس ، وقد انعكس هذا المفهوم الهيجيلى عن الذات والآخر على أفكار ومذاهب سياسية وقانونية كثيرة طيلة القرن التاسع عشر والعشرين ، رأت في غيبة الأنما ، وإطلاقها بالتغلب على الآخر ، أو استيعابه من خلال»الجدلية« الهيجلية المشهورة، الحل الأكيد، والهدف الأسنى الذي تسعى إليه.

والفلسفة النفعية الإنجلizية الشهيرة في منتصف القرن التاسع عشر ، وما تمخض عنها بعد ذلك من مذاهب في علم النفس والاجتماع والسياسة ، وقبل كل ذلك في الأخلاق والسلوكيات ، قدمت هي الأخرى طرحها الخاص لقضية» الآخر « ، أو»الأنـا« التي لا يشغلها شيء سوى»حساب اللذة« والحصول عليها بأعظم درجة ، حيث تصبح المشكلة هنا هي كيفية إجراء هذا الحساب للذة والتعظيم للفرد وللأنـا في وجه الآخر ، أو بالتنسيق معه وحيث تصبح المشكلة الكبرى في هذا المذهب وما تفرع عنه من مذاهب ليبرالية وبراجماتية ، هي تحقيق مصالح ولذات وسعادة الأفراد والذوات المادية داخل مجتمع مكون من» ذوات« فردية متضخمة بالإحساس بكياناتها ، وكل منها هو»الأنـا« لنفسه و» الآخر « بالنسبة لغيره ، وتظهر قضية الآخر في مباحث الإدراك المعرفي عند (الظواهرية) في مطلع القرن العشرين حيث رأت هذه الفلسفة أن عملية اكتساب المعرفة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بذات العارف الفردية ، التي تسعى لاستكشاف الآخر المعرفي أو النفسي أو الشخصي ، وكذلك تظهر قضية الآخر في بعض الفلسفات الوجودية ، ولاسيما في فلسفة (سارتر) ومن لف لفه من الفلسفـة الفرنـسيـين والأـمرـيـكيـين وغـيرـهـم ، وهي تظهر هنا على المستوى الفـرـدي الـبحـثـ حيث يكون هـدـفـ الذـاتـ المـفـرـدةـ هوـ» تـحـقـيقـ الذـاتـ «ـ فيـ إطارـ يـكـونـ فـيـهـ»ـ الجـحـيمـ هوـ الآـخـرـونـ «ـ وـفـقـ عـبـارـةـ (ـ سـارـترـ)ـ المشـهـورـةـ وـالـتيـ تـرـىـ فـيـ الآـخـرـ (ـ الغـرـيبـ)ـ الـذـيـ يـبـغـيـ الدـخـولـ فـيـ عـلـاقـةـ مـاـ مـعـهـ ،ـ وـلـكـنـ فـقـطـ فـيـ إـطـارـ أوـ سـيـاقـ تـحـقـيقـ الآـنـاـ لـذـاتـهـاـ .ـ

وأخيراً وعلى مدى العقود الماضيين تبرز قضية» الآخر « في الفكر الأوروبي الثقافي بعامة ، وعلى كل المستويات الفلسفية والاجتماعية وحتى» الأنثروبولوجية « ل تعالج قضية الحضارة الغربية في مواجهة المشكلات المترتبة على العهد الاستعماري القديم والإمبريالي الجديد من تعاملات مع شعوب وثقافات ما يسمى بالعالم الثالث ، ومع الأقليةـاتـ الكـبـيرـةـ العـرـقـيـةـ وـالـدـينـيـةـ وـالـلـغـوـيـةـ وـالـقـاـفـيـةـ

التي نشأت داخل الدول الأوروبية ثم الأمريكية؛ بسبب عوامل عديدة كالهجرة وال العلاقة الاستعمارية ، وهذا الطرح الأخير هو الذي نقله إلى الساحة الفكرية العربية عناصر النخبة العلمانية في إطار سياستهم الدائبة في المحاكاة والنقل والاستيراد لما يروج في ساحات الفكر الغربي ، وكذلك في إطار استخدام هذه النخبة لأدوات فكرية غربية كأسلحة في حرب المواجهة مع الإسلام ومنهجه.

والخلاصة هي أن مسألة» الآخر « لا تقوم بل ولا يكون لها معنى إلا في ظل حالة من تضخم الشعور بالأنما أو بالذات الفردية أو الجمعية أو المعنوية إلى حد تصبح معه علاقاتها مع أي كيان خارجها (آخر) سواء أكان فردياً أو جماعياً مشكلة من حيث أنه قد يعرقل ، أو يحد من أهم وقائع هذه الأنما أو الذات في تحقيق نفسها بالمعنى الشامل معنويأً أو ماديًّا ، مما يستتبع أن يكون هناك مشكلة» الآخر « ، وقد تفرقت أنواع الحلول والاتجاهات الغربية في مشكلة الآخر بين ما سمي» بنفي الآخر « أو سحقه والقضاء عليه (وهذا في حالات الصراع بين القوميات ، وبين الثقافة الاستعمارية النصرانية العلمانية والثقافات المستعمرة) ، وبين محاولات الحوار والاستيعاب بالتعديدية على درجات داخل كيان موحد أوسع... الخ.

\*\*\*\*\*

إن المشكلة الحقيقية مع قضية» الآخر « تختلف عن المشكلة التي تواجهنا نحن المسلمين مع قضياباً فكرية أخرى فرضتها النخبة المتغيرة: قضية العلمانية ، وفي هذه القضياب تكون المشكلة الأولية هي كون هذه القضياباً غربية المنشأ أي أنها قضياباً تتصل اتصالاً عضوياً لا ينفصّم بالسياق الحضاري والتلفيقي والسياسي والاجتماعي للتجربة التاريخية الأوروبية ، حيث إن انتزاعها من هذا السياق وتحويلها إلى مجرد مبادئ نظرية عامة مجردة ذات انطباقية عمومية يصبح هو المشكلة الأولى التي يتحتم مواجهتها وكشفها قبل الدخول في مناقشات أخرى لتلك القضياباً، أما بالنسبة لقضية» الآخر « ومع التأكيد أيضاً على خصوصيتها الثقافية السياسية الأوروبية فإن الوضع يختلف لأن المشكلة الأولية التي تواجهنا معها هي في تطبيقها ، وإدخالها بشكل معكوس من قبل أصوات النخبة العلمانية.

لقد قلنا: إن قضية الآخر تنشأ أو قد نشأت في ظروف كان فيها تضخم الذات أو الأنما بمستوياتها المختلفة وأشكالها المتنوعة فردي ، أو ثقافي أو سياسي/اجتماعي يصل إلى حد هائل ، يتحتم معه معالجة وضع» الآخر « بمستوياته وأشكاله المختلفة في إطار عملية تحقيق الأنما لذاتها ، هذا هو السياق الذي ظهرت فيه قضية الآخر في الغرب داخل الإطار الفردي العام للحضارة هناك ، وداخل فلسفاتها من الهيجيلية إلى النفعية إلى الليبرالية إلى الوجودية إلى فلسفات الثقافة والمعرفة والفقدان الحضاري والأنثروبولوجيا ، ولكن عند نقل هذه القضية إلى الساحة الثقافية العربية نلاحظ أنها تحولت من قضية ذات أبعاد فلسفية/اجتماعية متعددة ، وذات منظور واسع عميق ، إلى مجرد تهمة توجه ضد خصم ثقافي على سبيل تشويه صورته ، ولفتح الباب أمام توجيهاته اتهامات أخرى له تشبه السباب الدارج ، ولا تخلو من مسحات الغلو والعصبية كاتهامات التعصب والانغلاق وما أشبه ذلك. إلا أن الوضع المعكوس الذي أشرت إليه يتجلّى في أن تهمة العداء للأخر توجه إلى الذات، أو الأنما أو الهوية أو الكيان الإسلامي في وقت هو فيه في أشد حالات الضعف والهزال والتراء ، بل وقدان الوعي والتماسك ، بحيث إن قضيته الحقيقة ليست في حل مشكلة الآخر ، بل في مجرد ضمان استمرارية ذاتيته وكيانه هو . نحن لسنا أمام ذاتية فردية أو جماعية تعاني من التضخم والغرور والتتوّع والابتلاء والاستعلاء المجنون ، كما كانت الحال مع الذاتية الفردية أو الجمعية في عصور النهضة والكشف الجغرافية وإحياء العلوم الفلسفية والطبيعية، ثم عهود ما سمي

بالتتوir والفتح الاستعماري وتكوين الامبراطوريات والدول القومية الكبرى ، وما صاحب ذلك كله من تأليه لفرد والذات وإخضاع كل شيء من دين وقيم وشعوب أخرى لها وجمعها فيهما ، بل نحن عندما نتحدث عن الذاتية الإسلامية فردية أو جمعية في الفترة الراهنة نتحدث عن ذاتية هي في حالة من الضعف والخمول لأسباب عديدة تاريخية وفعالية ليس هنا مجال الحديث عنها بحث بات يخشى عليها أن تفقد وجودها نفسه وبالتحديد من جراء سطوة هذا» الآخر « الذي يجري الحديث عنه كما لو كان هو المهدد من جانب الذات الإسلامية ، نحن لسنا أمام ذات جامحة طامحة ، متوسعة ، عدوانية ، شرسة ، نهمة تمضي لاستعمار الدنيا ، بحيث يصح أن ترفع في وجهها دعوات الحفاظ على» الآخر « من عداونها واحتياحها ، وبحيث يصح أن تحذر من الدوس على هذا الآخر بالأقدام ، والقضاء عليه ونفيه ، أو على الأقل مناصبه العداء .

إن الذات الإسلامية التي ترفع في وجهها الآن تهمة العداء للأخر ورفضه ليست هي الذات الأوروبية الاستعمارية التاريخية ، أو الذات النظرية المصبوغة بالنزعة الإنسانية العلمانية اللتين سعتا وتسعيان إلى محو أو إدماج أو نفي أو استيعاب» الآخر « ، وهذه الذات لم يعرف عنها هذا النزع الإنساني الاستعماري العلماني أو الصليبي المهدد ، والنافي» للأخر « سواء أكان من ناحية تجربتها التاريخية أو المعاصرة ، أو من ناحية مكوناتها العقدية ، وبصرف النظر عن هذا وذاك فإن وضعها الحالي من التفكك وضعف الإحساس والوعي بالهوية يهددها هي وليس الآخر بالضياع ، وهذا الواقع يجعلنا نفهم التهمة الموجهة لها بالعداء» للأخر « على أنها في حقيقتها ليست تهمة مبنية على تفكير ونظر جدي متعمق في الأمور ، بقدر ما هي تهمة تقوم على تشويه الصورة وتقديم الغطاء لما يتزدد الآن بفجاجة في الإعلام الغربي وغيره حول دعوى» الخطر الإسلامي الجديد « و» خطر الأصولية الصاعدة « ، وما شابه ذلك من أنواع الدعاية الإعلامية ، فتهمة العداء» للأخر « لا تكشف عن نظرة جادة لمحنتي الثقافة الإسلامية ، أو لتجربة الذات الإسلامية التاريخية والمعاصرة ، وإنما هي مجرد شعار من شعارات تشويه الصورة والدعائية السوداء ، وإلا لما كان من أبسط الأخطاء أن توضع الذات المتأزمة موضع الذات المستعلية الغربية.

إذن قضية الآخر تبدأ ببداية مقلوبة عندما تطرح عندها ، وهي بداية تخالف تماماً البداية المنطقية والمعقوله والطبيعية لها في سياقها الغربي ، ويكتفي أننا لسنا أمة مستَعْمِرة أو عدوانية ، حتى تكون لهذه القضية انتباقيّة علينا من ناحية تهدينا للأخر ، كما يكتفي أننا نحن الذين نتعرض لعداء الآخر ومحاولته نفينا واستبعادنا واستبعادنا .

وهنا يطرح سؤال آخر من تلك الأسئلة التي لاحظناها فيما سبق نفسه: فمن هو ذلك الآخر الذي يتهدده الإسلام ويتباكي عليه المتباكون؟ هل هو الغرب بنزعاته من صلبيّة إلى استعمارية جديدة وقديمة إلى صهيونية وعلمانية؟ أم هو غير المسلمين في خارج وداخل البلدان الإسلامية ومعهم النخب الحاكمة والمثقفة (اللادينية)؟ أم هو اليهودية العالمية والإسرائيلية؟ وهل هذا الآخر أفراد ودول ، أم أفكار ومذاهب وفلسفات ، أم حركات سياسية واجتماعية دولية ، أم تيارات اقتصادية ومادية كبيرة... الخ؟ ثم من هو الذي يتحدث عن العداء للأخر متباكيًا عليه ، وقائماً على حقوقه التي يزعم تعريضها للخطر؟ إنه نخب وأقليات متغيرة ومعلمنة داخل عالمنا العربي المسلم وكأنهم بهذا الحديث المشfreq على» الآخر « يهاجمون بني جلدتهم المعتبرين متهمين إياهم بالعدوانية والتلوّع الاستعماري والجهل الثقافي ، وهل تكون هذه النخب والعناصر قد وضعت نفسها بذلك في زمرة الآخر هذا ، بحيث ينطبق عليها ما تقوله بعض الحركات الإسلامية من أنها انخلعت من ربقة الدين؟ إن البداية الحقيقة للتعامل مع قضية الآخر ، تكون بفهمها وفهم سياقها الحضاري الفكري الأصلي وتتبع هوية وهدف من يطرونها ، لاسيما وهم يجعلون من أنفسهم تابعاً لذلك الآخر الذي

يتحدثون عنه ، وليس جزءاً أو مكوناً من الأمة الإسلامية التي يوجهون الاتهام إليها ، ولا يمكن أن يكون هناك طرح لقضية الآخر مع تجاهل قضية الأنما أو «الذات» أو الهوية، وهذا من طبيعة الأشياء المنطقية لأنه إذا جاز لنا أن نتصور وفق المنطق الهيجلي مثلاً أنه لا يمكن أن توجد ذات (غير مطلقة) بدون الآخر ، فإنه في الوقت نفسه لا يمكن وجود آخر وأيضاً من الناحية المنطقية والفعلية بدون الأنما والذات ، ولذلك فعندما يصرح بعض عناصر النخبة مثلاً من أن قضية إثبات الهوية الحضارية والعقدية هو أمر بات مرفوضاً وبائداً ، وبأنه لا يجوز الحديث عن الغزو الفكري فإن المرء يستغرب أن يصدر هذا من يتحدثون في الوقت نفسه عن احترام الآخر واعتباره والتعامل معه من موقع التفاعل ، وليس العداء ، إذ كيف يكون ذلك إذا كانت الأنما أو الذات (الحضارية الدينية) التي ستقوم بذلك هي عندهم مرفوضة من موقع رفض الحديث عن الهوية والذاتية الثقافية؟ إن وجود الهوية والأنما الثابتة الواضحة هو الشرط الأول للحديث بعد ذلك عن الآخر وعن أي نوع من أنواع العلاقة معه ، وليس هذا فحسب بل لابد أن تكون هذه الأنما قوية صاعدة ولا بد كذلك أن تكون فاعلة داخل ثقافة فردية تعلي من شأن الذات وتجعل من تتحققها أي تحقق الذات بمعنى بسطها وامتدادها في الزمان والمكان والعمق الحضاري والفنى والإشباع والقوة المادية أهم أحد أهدافها ، ولكن عندما تكون الأنما مهددة بالتفتت والضياع وعدم الوجود وعندما لا تتحقق فيها الشروط التي توفرت في الأنما الغربية، وتحتم طرح قضية الآخر فإن طرح هذه القضية والإعلاء من شأنها يصبح عملاً مشبوهاً، وغير منطقي ، ويحق عندئذ توجيه تهمة مضادة من أن هذا الطرح وبالذات في شكل الاتهام هو طرح مغرض لا يأتي لوجه الحقيقة بل لمجرد إحراب الخصم الفكري ، ووضعه في موضع الدفاع بقذفه بالاتهام وراء الآخر ليس لغرض سوى إشغاله بالرد ، أو إحاطة مواقفه بالشكوك والظنون ، وفض الناس من ورائه وقبل كل شيء إجباره على اتخاذ مواقف يرحب فيها بالأفكار والمذاهب المخالفة وإلا تعرض لتهمة أنه ينفي الآخر ويعاديه.

ولا يمكن كذلك طرح قضية الآخر بالإلحاح وخطورة وفي شكل الاتهام الحاد في ظل وضع تتعرض فيه الذات أو الأنما أو الهوية إلى عدوان مستمر وشرس من جانب ذلك الآخر ضد كل مظاهرها ، سواء أخذ هذا العدوان شكل الغزو الفكري ، أو الاجتياح الإعلامي أو الهيمنة السياسية والاقتصادية أو الهجوم العسكري المباشر ، أو حتى الإبادة والإفقاء ، كما يحدث الآن على امتداد ساحة العالم الإسلامي.

إن الآخر هو الذي ينبغي أن يوجه إليه النصح والتحذير بأن ينهي عداءه ونفيه للأنما (وهي تعتبر الآخر بالنسبة له) قبل أن توجه للأنما الضعف والمحاصرة تهمة العداء للآخر ، والحق أن طرح تهمة العداء للآخر بهذا الشكل المعكوس يكشف غرضاً آخر من أغراض الإلحاح عليها من جانب النخبة ألا وهو الإرهاب الفكري وتمييع المواقف الإسلامية ، فتحت شعار التفاعل والتقارب مع الآخر والتعرف عليه يجري الإلحاح على كبت وإسكات العديد من المواقف والأحكام الشرعية بحجة أنها تعادي الآخر ، وتعوق التعامل معه ، وتشعره بالحرج وحتى تشوّه صورة الإسلام لديه ، ومنها قضايا الجهاد والحكم الإسلامي ورفض الربا ، وأحكام المرأة والأسرة ، بل وحتى الموقف الشرعي من عقائد النصارى ، وسلوك اليهود.

وبنظرة فاحصة إلى الواقع نجد أن الطرح الفعلي لقضية الآخر في عدد من البلدان العربية، قد فرض بالفعل من أجل هذا الهدف دون غيره ، حيث يقال من جانب عناصر النخب العلمانية: إن الطرюحت الإسلامية في المجال السياسي والاجتماعي ينبغي تغييرها لأنها تسئ إلى الآخر وهو هنا الغرب والدوائر السائرة في ركابه وهكذا يصبح مفهوم الآخر هنا ذا طبيعة قمعية واضحة فالآخر هو الكيان الحضاري المخالف الذي تصبح للعلاقة معه أولوية قصوى تفوق حتى أولوية أن يكون للذات

أو لأنّا وجود مستقل ، أو أن يكون لها حوار مع نفسها هي أولاً. إن الآخر وفق هذا المفهوم يصبح هو الكيان الأكثر أهمية من الذات التي يتحتم أن تضحي بنفسها ، أو تعدل من طبيعتها ؛ لكي تتوافق معه وتندمج فيه ولا تغضبه!! وهكذا تنقلب قضية العداء للأخر من معناها الظاهر إلى النقيض ، فالمطلوب ليس تخفييف الغلواء ضد الآخر ، بل الاندماج فيه تدريجياً ، والتواافق معه تحت شعار إقامة العلاقة معه والتكييف والتفاعل في ظروف تكون فيها الذات الحضارية ضعيفة، ويكون الآخر عدوانياً متوسعاً ولا يقبل بأقل من الاستيعاب والهضم ، وليس غريباً والأمر كذلك أن يتواافق طرح قضية الآخر مع فرض ما يسمى بالنظام العالمي الجديد، كأحدث طروحات العرب لتحقيق الهيمنة العالمية على كل الأصعدة.

إن تعاملنا مع القضايا الفكرية التي تطرح ينبغي أن يسير على الخطوط التي سعينا إلى رسمها هنا من التعمق في الخلفيات والأهداف المرغوبة ، وحقيقة المفاهيم المطروحة والسياسات الحاكمة بدل الانشغال بتبدلاته سطحية للحجج لا تغنى ولا تفي.

## **تعريف بأنشطة المنتدى الإسلامي**

في العدد قبل الماضي سبق التعريف بالمنتدى الإسلامي وأنه أحد مراكز أهل السنة والجماعة، يسير على منهجهم، ويدعو إلى أصولهم، وينذكر بطريقتهم السلفية الخالية من الغلو والانحراف، وهو يستقبل - وبكل ترحاب - أي مسلم مهما كان لونه أو جنسه. ووضحنا في تقرير موجز ألقاها من الأنشطة الدعوية والثقافية والمشاركات الخيرية، التي تمت بعون الله ثم بدعمكم ومؤازرتكم والتي لا تزال بحاجة إلى ذلك الدعم، انطلاقاً من قوله تعالى((وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعداوة)), وكانت ولله الحمد محل إعجاب وتقدير القراء والمتابعين لأنشطة المنتدى.

وقد رأينا البدء بإيضاح المزيد من التعريف لكل مشروع على حدة تحدثنا بنعمة الله، سيكون الحديث هنا أولاً عن مشروع كفالة الدعاة وبرامج تعينهم، ثم بيان لبرنامج شهر رمضان المبارك الماضي، وكذلك تفصيل لمشروع مكافحة العمى بدولة تشاد، بالإضافة إلى بيان إجمالي لمشروعات المنتدى القائمة والمستقبلية.

### **أولاً: مشروع كفالة الدعاة وبرامج تعينهم**

وإيماناً من المنتدى الإسلامي بعالمية رسالة الإسلام، فقد تم افتتاح عدد من المكاتب الفرعية للمنتدى الإسلامي في بعض الدول وتعيين مندوبيين يتبعون أنشطة المنتدى في دول أخرى، وبعد طول بحث ودراسة رسمت خطة العمل وحددت الأهداف والوسائل، وذلك من أجل أن يكون العمل - إن شاء الله - عملاً مدروساً، معروفة أبعاده ومعالمه، بعيداً عن الارتجال والعشوانية.

تم تعيين خمسينات من الدعاة في عدد غير قليل من الدول الإفريقية والآسيوية مثل: كينيا، أوغندا، الصومال، أثيوبيا، الأوغادين، السودان، تشاد، مالي، النيجر، نيجيريا، غانا، التوجو، بنين، السنغال، بنجلاديش، باكستان، الفلبين، إندونيسيا... ليكون ذلك - إن شاء الله تعالى - إسهاماً في نشر منهج السلف الصالح.

### **ويخلص تعين الداعية لشروط عدة من أهمها:**

- ١ - سلامة المنهج معتقداً وسلوكاً.
- ٢ - الكفاية العلمية.
- ٣ - الكفاية الدعوية.

وقد وضعت برامج دعوية يومية لكل داعية يسير في عمله بناء عليها وتشمل هذه البرامج:

١- حلقة واحدة على الأقل لتحفيظ القرآن الكريم.

٢- دروس ومحاضرات عامة.

٣- دروس ومحاضرات في المدارس والتجمعات العامة.

٤- جولات دعوية في القرى المجاورة، وغيرها.

ثم تتم متابعة الداعية عن طريق المشرف الدعوي في المنطقة نفسها، وعن طريق إرسال تقارير شهرية إلى اللجنة المختصة بذلك.

ويحرص المنتدى الإسلامي على رفع الكفاءة العلمية الشرعية والدعوية لهؤلاء الدعاة عن طريق الدورات العلمية الشرعية والملتقيات الدعوية والإمداد بالكتب والمراجع ونحوها.

### **تكلفة كفالة داعية:**

يقدم المنتدى الإسلامي راتباً شهرياً لكل داعية، ومقدار هذا المرتب يخضع في أغلب الأحوال لمستوى المعيشة في بلد الداعية ولمؤهله العلمي ومدى الجهد الذي يقدمه، وبشكل عام تتراوح الرواتب بين ٦٥ - ٤٠٠ دولار ومتوسط المرتبات كما يلي:

متوسط كفالة الداعية ١٠٠ دولار شهرياً، و ١,٢٠٠ دولار سنوياً.

الكفالة تشمل: المكافأة الشهرية بالإضافة إلى مصاريف الجولات الدعوية التي يقوم بها الداعية من نقل ومائلاً ومسكن... الخ.

### **ثانياً: برنامج شهر رمضان المبارك**

بفضل الله تعالى تمكّن المنتدى الإسلامي من القيام بتنفيذ برامجه المعدة لشهر رمضان الماضي، وذلك من خلال برنامج تغطير صائم صاحبتها الأنشطة العلمية والدعوية والتعبدية، حيث تم بعون الله عز وجل إعداد ٣٢٦,٦٧٧ وجبة إفطار وعشاء بتكلفة إجمالية قدرها ١٨٧,٣٥ دولار خلال هذا العام.

ولقد حرص المنتدى الإسلامي أن تكون المناطق المستفيدة من البرامج هي الأكثر فقراً والأشد حاجة كمواقع اللاجئين المسلمين في كثير من البلدان كالصومال وبنجلاديش وليبيريا، ولقد تمت إقامة سنة التراث والقيام وال كثير من الخطب والمحاضرات والندوات والدورات التي تصحح العقيدة وتترفع الجهل عند العامة وتفهمهم في أمور دينهم المختلفة وبالأخص في أحكام الصيام والقيام والاعتكاف، وزكاة الفطر، وذلك عن طريق دعوة المنتدى الإسلامي الموجودين في تلك البلدان.

ولقد كان لهذا البرنامج أكبر الأثر في نفوس الناس ونفع الله به خلقاً كثيراً وبالأخص في جوانب العقيدة وأحكام الدين، فله الحمد والمنة.

وستجد - أخي القارئ الكريم - أدناه جدولًا بين البلدان المستفيدة من المشروع وعدد الوجبات في كل بلد والتكلفة بالدولار.

### **جدول مشروع إفطار صائم لعام ١٤١٤ هـ**

المبلغ الإجمالي	عدد الوجبات	التكلفة بالدولار
كينيا(اللاجئون الصوماليون)	٣٥,٩٧٣	١٩,١٦٦
السنغال	٥,٠٠٠	٩,٣٣٣
بنجلاديش: أ- البنجلاديشيون.	١٠,٠٠٠	٥,٣٣٣

٤٨,٠٠٠	٩٠,٠٠٠	ب - اللاجئون البورميون.
١٦,٠٠٠	٦٠,٠٠٠	غانا
٨,٠٧١	١٠,٠٨٩	نيجيريا
٦,٦٦٧	٨,٣٣٣	أثيوبيا
١١,٤٦٧	٢١,٥٠٠	إندونيسيا
٩,٣٣٣	١١,٦٦٧	الفلبين
١٣,٣٣٣	١٢,٥٠٠	السودان
٦,٦٦٦	٣,٨٤٦	إريتريا
٥,٣٣٣	١٠,٠٠٠	الصومال
٩,٣٣٣	٨,٧٥٠	مالي
٣,٩٠٩	٤,٨٨٦	أوغندا
٤,٠٠٠	٦,٠٠٠	تشاد
٥,٣٣٣	٥,٣٣٣	ليبيريا
٨,٠٨٠	٢٢,٨٠٠	ساحل العاج

### ثالث: برنامج مكافحة العمى في تشاد

بفضل من الله تعالى قام المركز الإسلامي في السندي بتتنظيم برنامج الطبي (برنامج مكافحة العمى) في جمهورية تشاد بالتعاون مع المنتدى الإسلامي الذي تولى مهمة الإعداد والتنسيق والإشراف للبرنامج، ومع جماعة أنصار السنة المحمدية بتشاد التي زودت البرنامج بالطاقة التشرية العاملة في حقل الأمن والتنظيم والنقل والتغذية.

### وقد استمر البرنامج الطبي خمسة أيام أجز خلالها ما يلي:

- الكشف على ما يزيد عن خمسة آلاف مراجع.
  - صرف الأدوية الازمة للمراجعين.
  - صرف النظارات الطبية للمحتاجين وقد تجاوزت (١٥٠٠) نظارة.
  - إجراء ٣٧٨ عملية جراحية للمصابين بالماء الأبيض الذي يؤدي إلى فقد البصر، وكانت جميع العمليات - بحمد الله - ناجحة وموثقة.
- وكان الفريق الطبي العامل في البرنامج مكونا من ثمانية أطباء واستشاريين وأربعة عشر فنيا.
- وقد رافق البرنامج الطبي برنامج دعوي متكملا شارك فيه ما يقارب ٤٠ داعية، وتضمن:
- إلقاء المحاضرات العامة في العقيدة والشريعة على جميع المراجعين ف المستشفى.
  - تنظيم الحلقات التعليمية للمرضى لتعليمهم أمور دينهم.
  - إقامة المحاضرات والندوات العامة في مساجد العاصمة (أنجمينا) ومنتدياتها.
  - توزيع كميات كبيرة من الكتب والأشرطة باللغتين العربية والفرنسية وقد شمل هذا التوزيع جميع المرضى والمراجعين والمشاركين، وكذلك المساجد والجمعيات الإسلامية والمكتبات العامة.
  - إقامة مسابقة القرآن الكريم التي كانت على خمسة مستويات تبدأ من حفظ القرآن كاملا وإلى حفظ خمسة أجزاء، وقد شارك فيها ما يزيد على ٤٠ شخصا.
  - إقامة مسابقة السنة التي كانت على أربعة مستويات، وقد شارك فيها قريب من ٣٠ شخصا.

٧- إقامة دورتين دعويتين شارك في كل منها نخبة من الدعاة، وكانت فترة إقامة كل واحدة ثلاثة أيام، وكان عدد المستفيدين من الدورتين ٥٠ داعية.

٨- توزيع بعض الكتب المنهجية على المدارس العربية.

٩- نفذ المنتدى الإسلامي خلال البرنامج مشروع العائق الذي تم فيه ذبح ٢٠٠ عقيقة وزعت لحومها على الفقراء والمرضى وطلاب العلم المحتجين.

هذا وقد كان فرح الناس بهذا المشروع عظيماً، كما أنه ولأول مرة يقام في تاريخ تشاد كلها برنامج طبي بهذا المستوى الكمي والكيفي، على أيدي أطباء مسلمين، وشعر الناي بالفارق العظيم بين هذا البرنامج والبرامج الطبية التي تقيمها المنظمات التنصيرية التي تأخذ من الدعاية أكثر من حجمها بكثير.

لذا فقد كان غيظ الأعداء من البرنامج كبيراً مما حملهم على وضع العوائق دون إقامته والعرقلة التي تقلل من نفعه أو أثره، ولكن الله سبحانه سلم فباءت محاولاتهم بالفشل، وأثبت البرنامج بجدارة نجاحاً منقطع النظير.

وكان هذا البرنامج فرصة طيبة لأن ينفذ الدعاة بما عندهم من اعلم إلى الناس إذ العلم صار مقروناً بالعلاج والدعوة مصحوبة بالطعام والهدي بالهدايا، لقد تعرف الكثيرون على أركان الإسلام والإيمان بعد أن لم يكونوا يعرفونها.

ومع كل هذا فقد خرج عشرات العميان مبصرين بعد أن ذاقوا مرارة العلم عشرات السنين يضجون بالدعاة، ويلهجون بالثناء لكل من كان سبباً في عود أبصارهم إليهم، وقد أسلم - والله الحمد - ٢٣ نصراانيا.

فالحمد لله أولاً وأخيراً وظاهراً وباطناً، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين..

## الورقة الأخيرة الهم الأدبي

### تركي المالكي

الإنتاج الأدبي الإسلامي المعاصر لا يكاد يمثل غير رف واحد مضى في مكتبة متخصمة بالإصدارات ، مسترخية على مد البصر من الأرض طولاً وعرضًا.. ومايزال النص الأدبي الذي تنبع في جنباته ومضات الخيال وفجاءاته وجماله ووقد المعنى وخلوصه من غبار التهويمات المصادمة لجوانب من الرؤية الإسلامية.. مايزال حجم هذا النص وعمقه غير متوازن مع هدير هذا البحر الممتد في طول العالم الإسلامي وعرضه من العائدين إلى حياض الإسلام بعد طول غياب، بالرغم مما تحقق في السنوات الأخيرة وبخاصة في ميدان النصوص الشعرية.

إن ركن الأدب في المكتبة الأدبية المعاصرة يكاد يمثل جانباً من المنجز الغربي الذي نجح في بناء عقل ثقافي لا يرى إلا من خلال (العيون الزرق)! ويُعجب حتى بالديدان التي تم (تعميدتها) في بطون أصحاب البشرة البيضاء والشعر الأشقر! مثلما يقبل كل الأقواس الغربية من الرومانسية إلى (ما بعد الحداثة)، لكنه يصاب بالشلل حين يرى قوساً إسلامياً واحداً ولو كان القوس الأخير الذي يُبقى الإنسان في أحسن تقويم.

ولو فتشت في عالم الرواية العربية مثلاً عن نموذج واحد مشرق يمكن أن يكون معبراً عن شخصية الإنسان المسلم وهوئه الحضاري في أبعادها المختلفة أو معالجاً بعمق لمشكلاته الحقيقية

، لجف عزمه في طريق البحث الذي لا ينتهي بينما يزدحم الطريق بنماذج الكاذبين الذين يصارعون الفقر ويحاولون صناعة الفجر الشيوعي الكاذب، أو أولئك الذين يسكنون (شقة الحرية) وينقلون ما تضج به من العلاقات الغرامية مع التفصيل الذي يلاحق الحركة والكلمة حتى يجسم الصورة في خيال القارئ بكل تفصيلاتها! ويصفون التنقل في عالم المبادئ المزيفة حتى وهو يتم أحياناً بحسب فتاة الغلاف التي تفتح الطريق لقبول الدعوة أو تغلقه!!.

وبين جبال الرماد هذه تكاد تخفي تلك الجمرات المعدودات من أمثال روایتی (الثعابيني) و(ملكة العنبر)، فلا يُحس بها أحد ، وهي التي تحمل نسخ الجمال ملتحماً بهم صادق، تجري دماء الأمة الحقيقة في عروقه.

من هنا يصبح الهم الأدبي لزاماً بعضاً من خارطة الهموم الثقافية للخطاب الإسلامي، وهل يمكن لدعوة إسلامية أن تهمس بعد الأدبي أو تلغيه من اهتماماتها وتحتفظ مع ذلك بمسيرتها الإصلاحية في بقية أبعاد الإنسان الحضارية؟.. أظن أن ذلك غير مقبول في المنهج الإسلامي من جهة ولا ممكن التحقق في الواقع الإنساني المعاش من جهة أخرى؛ لأن الهاجس الأدبي والشوق إلى رواء الجمال وعذوبته جزء من البناء النفسي في الإنسان يغذوه الأدب الحقيقي ويعمقه، ولا تكاد تكتمل الشخصية الإنسانية إلا به، فضلاً عن بقاء الكلمة سلاحاً متعدد الاستخدامات في الصراع الطويل بين الحق والباطل.

فهل تكون (مجلة الأدب الإسلامي) التي صدر عددها الأول قطرة في أول الغيث ، تقدم النص الفني الجميل، ملتحماً بالرؤية الإسلامية ، بعيداً عن أدب الأعطيات من جهة، ونصوص الترجمة لمتأهات الفكر الغربي المقدمة في أشكال فنية جميلة من جهة أخرى؟  
نرجو أن تكون كذلك ونطمح أن ينهر من بعدها القطر.

---

تمت بعون الله والحمد لله